

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE
ET POPULAIRE
MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE MOHAMED KHIDER – BISKRA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET
SOCIALES



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
شعبة التاريخ

مذكرة ماستر

علوم إنسانية

تاريخ

تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

رقم: أدخل رقم تسلسل المذكرة

إعداد الطالب: بلقاسم غربية

يوم: 01/06/2025

الصراخ العسكري الزياني المريني وأثره على المغرب

الأوسط (647-962هـ / 1249-1554م)

لجنة المناقشة:

رئيسا	الرتبة	جامعة بسكرة	الأمرير بوغدادة
مشرفا	أ.مح.أ	جامعة بسكرة	مسعود كربوع
مناقشا	الرتبة	جامعة بسكرة	أسامة بقار

السنة الجامعية 2024-2025م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر و عرفان

الحمد والشكر لله من قبل ومن بعد .

أقدم كل آيات الشكر والعرفان لكل من ساعدنا في انجاز هذا العمل المتواضع

في مقدمتهم الدكتور مسعود كربوع الذي اشرف على هذا البحث والذي لم

يخل علينا بالنصح والارشاد والتوجيه، جزاه الله عنا خير الجزاء

كما لا يفوتني

أن أقدم الشكر والامتنان لرفيقة وبي زوجتي المخلصة علي وعمها وتشجيعها

المتواصل من اجل العودة لمقاعد الدراسة فكانت نعم السند والزوجة

حفظها الله ورعاها.

إهداء

الى كل الـاهل والـاحبة

مقدمة

على اثر انهيار الدولة الموحدية في القرن السابع الهجري انفرط ذلك العقد الذي انتظمت فيه بلاد المغرب الإسلامي لفترة من الزمن، وتعرضت البلاد لتمزق سياسي كان من نتائجه بروز ثلاث دول تمثلت في المرينيين في المغرب الأقصى والحفصيين في المغرب الأدنى تتوسطهما دولة بني زيان التي وجدت نفسها وبحكم موقعها الجغرافي بين مطرقة الحفصيين وسندان المرينيين، هذه الأخيرة التي حاولت بسط نفوذها على المغرب الأوسط، مما أدى إلى بروز صراع عسكري طويل غذاه إلى جانب الأسباب المجالية عوامل أخرى عديدة اتخذها كل طرف حجة من اجل ادعاء حق بسط الهيمنة والنفوذ على كامل المغرب الإسلامي .

في هذه الأجواء المضطربة داخليا وأمام التحديات والأخطار الخارجية المتمثلة في الخطر الصليبي في العدوّة المقابلة، يندرج موضوع بحثنا المعنون بـ " الصراع العسكري الزياني المريني وأثره على المغرب الأوسط (647-962هـ/1249-1554م) .

تتجلى أهمية هذا الموضوع في اعتباره يبين حقبة مهمة من تاريخ منطقة المغرب الاسلامي عموما والمغرب الاوسط بالأخص، والتي تميزت بانقلاب موازين القوى بين العالمين الاسلامي والمسيحي، في ظل الصراعات الداخلية في المنطقة .

وانطلاقا مما سبق حاولنا قدر المستطاع الإحاطة بهذا الموضوع من خلال طرح الإشكال التالي : ما هي حيثيات وآثار الصراع العسكري الزياني المريني على بلاد المغرب الأوسط (647-962هـ)؟.

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات نذكر منها:

- ما هي أسباب الصراع بين أبناء العم بني زيان وبني مرين ؟ ما مظاهر هذا الصراع ؟ وما هي ابرز محطاته؟ كيف اثر هذا الصراع في المغرب الأوسط على جميع الأصعدة؟ وغيرها من الأسئلة التي اعترضتنا أثناء انجاز هذا العمل المتواضع والتي لم ندخر جهدا للإجابة عليها بهدف انجاز موضوع نكشف من خلاله سجالية الصراع العسكري المريني الزياني وتداعياته وأثاره المختلفة سواء على الإنسان في المغرب الأوسط أو على نشاطاته المختلفة و موروثة الحضاري.

إن من اسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو الرغبة والدافع من اجل دراسة مرحلة مهمة من تاريخ المغرب الأوسط الذي يمثل امتدادنا التاريخي والجغرافي ، ومعرفة المآلات المستقبلية لهذا الصراع الذي كان في فترة حساسة من تاريخ المنطقة.

لقد تجلت لنا بعض المعالم الأولية لهذا الموضوع من خلال العديد من المؤلفات والمواضيع والتي حاول الكثير منها تسليط الضوء على بعض زواياه وتجليه ما كان غامضا منها خاصة في جانب أسباب ومظاهر الصراع ونذكر في هذا الصدد الباحث سالم غومة الذي حاول التركيز على العلاقات السياسية بين الدولتين وانعكاساتها والذي أفادنا في الفصل الأول في الشق المتعلق بمظاهر الصراع إلا انه ركز فقط على الانعكاسات العسكرية دون التطرق بشكل واسع للانعكاسات على إنسان المغرب الأوسط في تلك الفترة باعتبار الإنسان المحرك الأساسي لصناعة التاريخ . كما لا يمكن إهمال دراسات الباحث عبد العزيز فيلاي وأهمها في نظرنا "تلمسان في العهد الزياني" التي وضعتنا في صورة الظروف السائدة في تلك الفترة خاصة في مدينة تلمسان وكيف اثر فيها ذلك الصراع الطويل ، أو دراسات أخرى مثل "العلاقات الزيانية المرينية" للباحثة بكاي هوارية والتي أفادتنا في جزئية الآثار العمرانية التي خلفها بنو مرين في تلمسان، بالإضافة للباحثة بشاري لطيفة، وغيرها من الأعمال التي تناولت الموضوع من زوايا مختلفة. إلا أن اغلبها يركز على نسب بني مرين وبني زيان ومجالهم الجغرافي والصدامات العسكرية بينهما ، أو التطرق لأهم سلاطين الدولتين وإبراز انجازاتهم . وعلى العموم حاولنا جمع المادة العلمية من مختلف هذه الدراسات بما يخدم موضوعنا وانتقاء أهمها و أرجحها قدر الإمكان.

باعتبار هذا الموضوع يعالج في اقله ما يسمى بالتاريخ السياسي كان لزاما علينا إتباع المنهج التاريخي الوصفي الذي يركن إلى استرداد المعلومات من مصادرها الأولية، وعرضها في سياق كرونولوجي موحد يحترم تسلسل الأحداث.

من اجل الإحاطة بهذا الموضوع والإجابة على إشكاله وضعنا خطة مكونة من ثلاث فصول خصصنا الفصل الأول للصراع العسكري الزياني المريني متجاوزين النمطية السائدة في مختلف البحوث والتي تركز في البداية على الأصل والتسمية ومرحلة تأسيس الدويلات والمجال الخاص بأبناء زناتة من بني زيان وبني مرين رغم أننا لم نهمل هذا الجانب المهم والذي عالجناه وأدماجناه في المبحث الأول المخصص لأسباب الصراع ، أما المبحث الثاني فقد تطرقنا من خلاله إلى مظاهر الصراع المختلفة والتي ركزنا فيها على المظاهر العسكرية، ورغم تشعبها وتداخلها إلا أننا حاولنا التركيز على الأهم دون إطباب وإطالة بما يخدم الموضوع ولا يؤثر في تناسقه .

الفصل الثاني تطرقنا فيه إلى آثار الصراع بين الزيانيين و المرينيين في شقه السياسي والذي خصصنا له مبحثا تناولنا فيه الانعكاسات الداخلية التي مست المغرب الأوسط ، كعلاقة القبائل بالسلطة الزيانية ، وكذا الآثار الخارجية المترتبة عن هذا الصراع والمتمثلة في علاقة بني زيان مع محيطها الإقليمي، أما المبحث الثاني خصصناه للجانب العسكري ركزنا من خلاله على الجيش الزياني وما آلت إليه أوضاعه المترتبة عن الصراع سواء العدة والعتاد والتحصين ونحوها .

الفصل الثالث حمل عنوان الآثار الاقتصادية والاجتماعية وكان لكل منهما مبحثا تناولنا من خلال المبحث الأول آثار الصراع على الأوضاع الاقتصادية سواء في مجال الزراعة أو الصناعة وكذا التجارة بشقيها الداخلي والخارجي ، والمبحث الثاني خصصناه لانعكاسات الصراع على أبناء المغرب الأوسط وبالأخص ساكنة تلمسان وآثاره العمرانية والثقافية المختلفة.

ذيلنا بحثنا بخاتمة رمنا من خلاله تشكيل حوصلة حول الموضوع محل الدراسة، تعتبر إن وفقنا حلا للإشكالية وتساؤلاتها الفرعية ، وختمنا موضوعنا ببعض الملاحق راجين أن تخدم القارئ وفي الأخير وضعنا قائمة للمصادر والمراجع وفهرسا للمحتويات حتى يسهل تصفح هذا البحث البسيط لإنجاز خطة بحثنا والإحاطة بمختلف جوانب موضوعنا كان لزاما علينا الاستعانة بمصادر ومراجع متنوعة تخدم الموضوع ، سنحاول أن نذكر المصادر الرئيسة والتي كانت عماد هذا البحث ولعل أهمها:

- كتاب ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لصاحبه عبد الرحمن بن خلدون (ت 808هـ/1406م) خاصة الجزء السابع الذي تناول بإسهاب وتفصيل مرحلة مهمة من تاريخ الدولتين الزيانية و المرينية.

- بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ليحي بن خلدون والذي عايش العديد من أحداث المرحلة خاصة انه كان مقيما في كثير من الأحيان بتلمسان والذي كان منهلا عرفنا منه مادة تاريخية مهمة تخدم موضوعنا .

- كتابي ،الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، والذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لعلي بن أبي زرع الفاسي (ت728هـ/1328م) حيث تنوعت الأخبار والمواضيع في هذين المصدرين بين السياسية والاقتصادية والاجتماعية و كان التركيز على بني مرين ومنجزاتهم وصراعاتهم مع مختلف القوى السياسية في تلك المرحلة حيث تتبعنا من خلاله الصراع القائم مع بني زيان. بالإضافة لمصادر أخرى عديدة والتي لا يمكن إهمالها وكمثال على ذلك المعيار للونشريسي وتاريخ بني زيان ملوك تلمسان للتتسي وغيرها من المصادر التي تناولت تاريخ الفترة من جوانب مختلفة ، هذا بالإضافة إلى المراجع العديدة والتي أثرت تاريخ المنطقة في العصر الوسيط.

إن تشعب الموضوع وطول مدة الصراع العسكري كانت بمثابة الصعوبات التي واجهتنا بالإضافة إلى التشابك بين عناصره مثل التداخل بين القبائل وفروعها في منطقة المغرب وبين أسباب الصراع ومظاهره حيث بذلنا جهدا من اجل استخلاص كل منهما على حدا. وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نقول أن هذا عمل بشري لا يخلو من أخطاء ونقائص فان أصبنا فبتوفيق من الله عز وجل وان أخطأنا فمن أنفسنا ومن الشيطان.

الفصل الأول:

الصراع العسكري الزباني

المريني (647-962هـ)

المبحث الأول : أسباب الصراع

لقد تعدد أسباب الصراع بين بني عبد الواد وبني مرين حسب التطور التاريخي والظروف وعوامل المواجهات العسكرية المختلفة في حد ذاتها رغم أن العديد من أسباب الصراع كانت قائمة حتى قبل قيام الدولتين وسقوط دولة الموحدين وعلى العموم يمكن تلخيص بعض أسباب الصراع فيما يلي :

أولاً- العوامل التاريخية والجغرافية :

1- التنافس على زعامة قبيلة زناتة :

تعتبر قبيلة زناتة من اكبر القبائل التي جابت بلاد المغرب الإسلامي نظرا لامتهانها الرعي وحياة البدو والترحال عبر الفيافي والصحاري الممتدة من غدامس شرقا إلى المغرب الأقصى غربا¹، لكن حياة البداوة هذه لم يجعلها في منأى عن المشاركة في الحياة السياسية والفكرية في الفترة الوسيطة بين السلطة والمعارضة وبين اعتناق مختلف المذاهب من مالكية وسفريّة وإباضية رغم أن الغالب على زناتة التمرد والمعارضة لمختلف السلطات الرسمية عبر تاريخ المنطقة، ومن أهم أسباب ذلك الطابع البدوي² الذي يقوم على حياة الترحال والرعي ومن ثم محاولة السيطرة على المجالات الرعوية والاستئثار بها دون غيرهم من القبائل ، كما أن الصراع في كثير من الأحيان يكون بين أبناء القبيلة وفروعها المتنوعة والمتباينة، ابتداء من قبيلة جراوة وصولا إلى فروع بني واسين الذين ينتمي إليهم بنو عبد الواد وبني مرين³، وباعتبار هذين الفرعين الأخيرين من اكبر فروع قبيلة زناتة فقد اشتعل التنافس بينهما لتولي قيادة القبيلة ، فالمتنبع مثلا لتاريخ بني مرين

1- محمد سليمان الطيب، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، ط2، 1418هـ

- 1997م مج1، ج1، ص ص 1050-1051

2 - الياس حاج عيسى، زناتة المغرب الأوسط القبيلة والمجال، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3، ع1، يناير 2020 ص ص 188-189 .

3- المرجع نفسه، ص179.

يلاحظ ذلك الاهتمام الذي أولاه المؤرخين لأصولهم وأحقيتهم في الحكم ، رغم بروز العديد من الآراء المتباينة حول نسبهم¹ .

2- التجاور الجغرافي :

بحكم التجاور الجغرافي بين بني عبد الواد وبني مرين اشتد الصراع بينهما، فقد كان ملك دولة بني عبد الواد يشغل منطقة المغرب الأوسط ولم تكن حدودها قارة بل كانت تمتد وتتقلص حسب الظروف السياسية والحروب التي كانت تخوضها ضد الحفصيين شرقا ودولة بني مرين غربا وعلى العموم كان حكم بني عبد الواد يمتد من تخوم بجاية وبلاد الزاب شرقا إلى واد ملوية غربا ومن ساحل البحر المتوسط شمالا إلى إقليم توات جنوبا² ومهما تقلصت الرقعة الجغرافية أو اتسعت فإن الثابت أن عاصمتهم تلمسان لم تتغير يقول ابن خلدون " ودار ملكهم فيه وسط بين الصحراء والتل تسمى بلغة البربر تلمسان ، الكلمة مركبة من تلم ومعناها تجمع وسن معناها اثنان أي الصحراء والتل "³ أما بنو مرين فقد وصفهم الناصري بان حياتهم بدوية لا يدخلون تحت حكم سلطان ولا يؤدون ضريبة ولا يعرفون تجارة ولا حرث اعتمدوا في عيشهم على الصيد والرعي وكذلك الغارات على البلاد المغربية⁴ ، ومن هنا فان موطنهم لم يكن ثابتا شأنهم شان بطون زناتة فقد تنقلوا من مواطنهم الأصلية ، تاهرت وتلمسان إلى سجلماصة وملوية وصولا إلى بلاد الزاب بالمغرب الأوسط⁵.

1 - مسعود كربوع، المرينيون من الطور القبلي الى الطور السياسي، مجلة دفاثر المخبر، مج19، ع1، 2024، ص129.

2 - مبارك الملي، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، تق، محمد الملي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د س)، ج2، ص444.

3 - يحيى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ج1، ص281.

4 - الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، د.ط، 1997، ص13.

5- أحمد بدوي، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط ، دار الأصاله، الجزائر، ص 202؛ نضال مؤيد مال الله الأعرجي، الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ)(1286-1306م) دراسة سياسية وحضارية، إشراف، عبد الواحد دنون طه، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، 2004م، ص7.

أما أكبر هجراتهم فقد كانت مطلع 610هـ/1213م إلى بلاد المغرب الأقصى حيث ذكرهم صاحب نظم السلوك في قوله:

هي عام عشر وستمئة أتوا إلى الغرب من البرية

وانتشرت مرين كالجراد في الغرب قد عمت على البلاد¹

يقول القلقشندي في هذا الشأن أن تمركزهم كان بين فكيك² وملوية³.

ومما سبق فإن وحدة الانتماء القبلي - أي زناتة - والتجاور الجغرافي كان عاملا مهما في الصراع والتنافس وهو ما يؤكد ابن خلدون في قوله " كان بين هذين الحيين - أي بنو عبد الواد وبنو مرين - المناغاة والمنافسة منذ الآماد المتطاولة بما كانت مجالات الفريقين بالصحراء متجاورة"⁴ ، ويضيف " لما انتقلوا إلى التلول وتغلبوا على المغرب الأقصى و الأوسط لم تزل فتنتهم وأيام حروبهم"⁵.

3- الصراع على خلافة الموحدين

ظلت الدولة الموحدية منذ نشأتها مطلع القرن الثاني عشر ميلادي الحصن المنيع الذي انكسرت على أسواره الحملات الصليبية في الأندلس إلا أن الضعف بدأ يدب في كيان هذه الدولة منذ بداية القرن السابع الهجري ، الثالث عشر ميلادي نتيجة عوامل عديدة لعل من أبرزها الضغط الصليبي، الذي عُرف بحروب الاسترداد والثورات الداخلية والتي عُدت ثلاث وثلاثون ثورة في بلاد

1 - أبو فارس عبد العزيز الملزوزي، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، (د ط)، 1382هـ 1963م، ص5.

2 - فكيك ، عبارة عن ثلاث قصور في منطقة المغرب الأوسط ، وتمتد على بعد مائتين وخمسين ميلا شرقي سجلماسة. ينظر حسن الوزان، وصف إفريقيا، تر، محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ج2، ص37.

3 - أبو عباس احمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د ط)، 1333هـ، 1915م، ج5 ص194.

4 - ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح، خليل شحادة، مر، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ، 2000م، ج7 ، ص 111.

5 - المصدر نفسه، ص 282.

المغرب وثمانية عشر ببلاد الأندلس¹ ، ونتيجة لذلك برزت الأطماع السياسية في المغرب من أجل خلافة هذا الكيان المترهل وكانت البداية بإعلان أبي زكرياء الحفصي عن تأسيس دولة للحفصيين بالمغرب الأدنى سنة 625هـ/1227م² ، وفي المغرب الأوسط أعلن يغمراسن بن زيان الانفصال عن الموحدين وتأسيس الدولة الزيانية وعاصمتها تلمسان 633هـ/1235م وفي المغرب الأقصى قضى بنو مرين على ما تبقى من الدولة الموحدية سنة 668هـ/1269م، واتخذوا فاس عاصمة لهم³، وبذلك برز التنافس بين هذه الدويلات التي تدعي حقا في خلافة ملك الموحدين (ينظر الملحق رقم 1، ص 65).

ثانيا - العوامل السياسية

1 - دور الدولة الموحدية في إشعال نار الفتنة

حاولت الدولة الموحدية إيجاد نوع من توازن القوى بين بني عبد الواد وبني مرين بما يخدم مصالحها وذلك من خلال ضرب هاتين القوتين الناشئتين ببعضهما ، كما أن هاتين الأخيرتين حاولتا الاستقواء بالدولة الموحدية في المراحل الأولى من ظهورهما، ومن أمثلة ذلك، التحالف الموحيدي العبد الوادي الذي أدى إلى هزيمة بني مرين في موقعة فحص مسون سنة 540هـ/1145 م والتي انتهت بمقتل المخضب بن عسكر شيخ المرينيين⁴، كما حرض الموحدون المرينيين بقيادة أبي عباد بن يحيى بن أبي بكر بن حماسة ضد الزيانيين عندما خرجوا عن

1 - عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م، ص 189.

2 - ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 14.

3 - لسان الدين ابن الخطيب ، تاريخ اسبانيا الإسلامي، تح، ليفي بروفسال، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة، 2006، ص 292.

4 - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 89.

طاعتهم¹ ، من جهة أخرى تحالف الزيانيون و الموحدون ضد بني مرين في معركة ايسلي² قرب وجدة³ سنة 647 هـ/1249 م والتي انتهت بهزيمة الزيانيين⁴ وعلى العموم فان هذا الصراع العسكري بين الطرفين سنأتي عليه لاحقا .

2- دور بني الأحمر في إنكاء الصراع :

حاول بنو الأحمر في غرناطة أن يحدثوا نوعا من توازن القوى بين بني عبد الواد والمرينيين بما يضمن مصالحهم ولعل من أهم أسباب ذلك، خشية بني الأحمر من توسع نفوذ المرينيين في الأندلس خاصة بعد رفضهم التخلي عن مملكة لصالح المرينيين وهذا ما دعاهم إلى التحالف مع الزيانيين وحتى النصارى للحفاظ على ملكهم حيث حرض بني الأحمر السلطان الزياني يغمراسن على إثارة الفتن في حدوده مع بني مرين ليبعد خطرهم عنهم لكن ذلك كان سببا وراء تسيير بني مرين حملة ضد تلمسان ، فرد بنو الأحمر بافتعال اضطرابات بالأندلس لتخفيف الضغط على الزيانيين⁵ ، رغم أن بعض المصادر تشكك في هذا التحالف الزياني الغرناطي بحجة أن يغمراسن لا فائدة له من هذا التحالف وان ما أورده ابن خلدون ما هو إلا تبرير للحملة المرينية على بني

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 299 .

2 - ايسلي ، مدينة قديمة تقع في بسيط وجدة و بها نهر يحمل نفس الاسم يسقي بسايتها. ينظر، عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأوطان ، تح إحصان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م، ص58.

3 - وجدة ، مدينة قديمة بناها الأفاقة في سهل فسيح على نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط، وهي على نفس البعد تقريبا من مدينة تلمسان تمتاز بخصوبة الأراضي الزراعية، تعرضت للخراب أكثر من مرة على اليد القوات الزيانية و المرينية باعتبارها نقطة عبور لكلا الطرفين. ينظر، حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص12.

4 - ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد، مصر، ط1، 2001م، ص ص65-66.

5 - بسام كامل عبد الرزاق شقدان، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م، إشراف، هشام أبو رميلة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002، ص95.

زيان غير أن هذا التبرير لا يمنع من جود تحالف زياني غرناطي خاصة أن بني الأحمر تحالفوا حتى مع النصارى ضد المرينيين¹.

3- استقبال ودعم المعارضين

إن من أسباب التوتر والصراع بين بني زيان وبني مرين بالإضافة إلى الأسباب السابقة مسألة استقبال المعارضين ولعل أهمها، معارضي الدولة المرينية الذين لم يجدوا ملجأ لهم سوى الفرار نحو الدولة الزيانية وطلب الحماية منها خوفاً من بطش المرينيين ومثال على ذلك لجوء الأمير أبو عامر بن السلطان أبي يعقوب المريني وأنصاره من الثوار إلى عثمان بن يغمراسن سنة 688هـ/ 1288م، ورغم محاولة أبو يعقوب مراسلة الأمير عثمان بن يغمراسن وطلب تسليم المتمردين إلا أن هذا الأخير رفض ذلك، وقال لرسول السلطان أبي يعقوب " والله لا أسلمه أبداً ولا أبيع حرمتي وأترك من استجار بي حتى أموت"² وكان هذا الموقف من عثمان سبباً آخر في توتر العلاقات من جديد بين بني عبد الواد وبني مرين³. كما استقبل الزيانيون ابني الوزير يحيى الوطاسي عمر وعامر بعد ثورتهم ضد بني مرين بحصن تازوطا سنة 691هـ/ 1291م ورغم سعي السلطان يوسف بن يعقوب الإرسال في طلبهما إلا أن يغمراسن بن زيان رفض تسليمهما

1 - سالم أبو القاسم محمد غومة، العلاقة السياسية و أثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط، المجلة الجامعة، المجلد 2، العدد 18، ماي 2016م، ص ص 39-40.

2- عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص ص 441-442.

3- وكان السبب في ذلك هو عصيان أبي عامر وخروجه عن طاعة أبيه السلطان أبي يعقوب، والتجائه إلى تلمسان واحتماؤه بسلطانها عثمان بن يغمراسن وقد كان السلطان قد عقد لوزيره ابن عطو الجناتي على مدينة مراكش وترك معه ولده أبا عامر، فلما عاد السلطان من حركته في أنحاء المغرب رجع إلى فاس في منتصف ربيع 686هـ/ 1288م، مشغلاً بعرضه على بنت موسى بن رحو الغرناطية، خرج عليه ابنه أبو عامر ولحق بمراكش ودعا لنفسه في أواخر 687هـ/ 1288م، وساعده على ذلك عاملها محمد بن عطو فقاتلها السلطان وحاصر مراكش أياماً فاضطر الثائر إلى الفرار فالتجأ إلى تلمسان واحتتمى بسلطانها عثمان بن يغمراسن 688هـ/ 1288م، فأواهما ومهل لهما المكان غير أن السلطان عطف ورضي على ابنه فعاد إلى مكانه وطلب من عثمان بن يغمراسن أن يسلم إليه بن عطو المتآمر مع ابنه فأبى، وفي بعض الروايات أن الرسول قد أغلظ في القول فاعتقله عثمان فثارت في نفس أبي يعقوب الضغائن والأحقاد الكامنة فاعتزم على منازلة تلمسان. ينظر، عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص 213.

واستقبل أيضا بنو زيان الوزير المريني عبد الرحمن بن يعقوب وابن رحو وقائد الروم في الجيش المريني غنصالو بعد ثورتهم على السلطان سليمان بن عبد الله بن يوسف بن يعقوب سنة 710هـ/1310م¹.

من جهة أخرى قدم المرينيون بزعامة السلطان يعقوب بن عبد الحق الدعم لمحمد بن عبد القوي أمير قبيلة بني توجين² لرد عدوان زيان بن يغمراسن عليها سنة 670هـ/1271م³ وفي سنة 761هـ/1359م تلقى المعارض الزياني أبو زيان محمد بن عثمان بن عبد الرحمن دعما سياسيا وعسكريا من قبل السلطان المريني أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن (760-762هـ/1359-1361م) من أجل الإطاحة بالسلطان أبو حمو الزياني⁴ كما ساند المرينيون الأمير إبراهيم أبو تاشفين للوصول للحكم الزياني خاصة أنه كان قد نشأ بين المرينيين بعد وفاة أبيه⁵.

ثالثا - العوامل الاقتصادية

1- التنافس على المناطق الاستراتيجية

تتمتع الكثير من المناطق في بلاد المغرب الإسلامي بأهمية اقتصادية وعسكرية ومحورا مهما في التجارة ومن أهم هذه المناطق المدن الساحلية لما تتوفر عليه من موانئ مثل وهران وهنين وشرشال والتي كانت تربط المغرب الأوسط تجاريا خاصة مع الممالك النصرانية، وكذلك المدن الداخلية المهمة، الغنية بالموارد أو التي تتميز بأهمية تجارية مثل مدينة سجلماسة التي كان الصراع عليها سجالا حيث تمكن المرينيون من إخضاعها سنة 653هـ/1255م فسعى الزيانيون

1 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مر، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1999، ص ص378-382.

2 - بني توجين، من القبائل الزناتية التي سكنت منطقة جبل الونشريس، متاخمين لبني زيان حيث خدمت هذه القبيلة فترة تحت إمرتهم، ولما قوي أمر بني مرين أصبح بنو توجين من المتحالفين معهم مما شكل خطرا على بني زيان، ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص208-209.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص245.

4 - ابن الأحمر، النفحة النصرية و اللوحة المرينية، تح، عدنان محمد آل طعمة، مطبعة الشام، دمشق، 1992، ص30.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص179.

لاستردادها وكان لهم ذلك سنة 663هـ/1265م مما جعل السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق يقوم بتوجيه حملة، واستطاع استعادة المدينة مرة أخرى سنة 673هـ/1274م¹.

المبحث الثاني : مظاهر الصراع العسكري

إن الأسباب السابقة الذكر أدت إلى صدام عسكري طويل بين الإمارة المرينية و الزيانية وما زاد من حدة هذا السجال العسكري هو وقوع الإمارة الزيانية بين حجري رحي المرينيين من الغرب والحفصيين من الشرق ضف لذلك الفتن الداخلية بين أبناء الأسرة الزيانية نفسها.

أولاً- مظاهر الصراع العسكري خلال القرن 7هـ/13م

1 - معركة ايسلي الأولى 647هـ/1249م

تعتبر معركة ايسلي الأولى أول صدام عسكري بين الدولة الزيانية والمرينية بعد ظهورهما ككيانين سياسيين مستقلين وكانت هذه المعركة بتحريض من السلطان الموحي عمر المرتضى (646-665هـ/1248-1266م) ليغمراسن بن زيان حتى يستعيد مدينة فاس من يد المرينيين². وقعت هذه المعركة بالقرب من مدينة وجدة حيث استطاع المرينيون بقيادة أبو يحيى بن عبد الحق(642-656هـ/1244-1258م) من إلحاق هزيمة بيغمراسن بن زيان الذي فر عائداً إلى تلمسان³.

لقد حز في نفس يغمراسن الهزيمة في موقعة ايسلي فعقد العزم على إخضاع سجلماسة ودرعة غير أن تحصن المرينيين بها بقيادة أبو بكر عبد الحق دفع يغمراسن إلى إنهاء حصاره والانسحاب ، وأصبحت الجهة الشرقية من الدولة المرينية تحت حكم يوسف بن يزناسن الخاضع لإمرة بني مرين⁴.

1 - سالم أبو قومة ، المرجع السابق، ص ص40-41.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص112.

3 - ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية ، ص ص65-66.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص ص175-176.

2- معركة تلاغ 666هـ / 1267م

كانت أيام الدولة الموحدية معدودة لما وصلت إليه من ضعف وانهايار بسبب الصراع الداخلي من جهة والضغط الصليبي من جهة أخرى ورغم ذلك حاول سلاطينها المتأخرين الحفاظ على ملكهم من خلال إضعاف دويلات المغرب الإسلامي بواسطة إذكاء الصراع المريني الزياني كما ذكرنا سابقا في أسباب الصراع، وعلى ما يبدو أن أبو دبوس الموحيدي¹ قد اضطر هذه المرة للتحالف مع بني زيان لدرء الأطماع المرينية² وكننتيجة لهذا التحالف أقدم السلطان المريني أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق - الذي تولى الحكم سنة 656هـ/1258م بعد وفاة أخيه أبي يحيى بن عبد الحق - على حصار مراكش، إلا أن يغمراسن انبرى لنجدة حليفه أبو دبوس وذلك بافتعال القلاقل شرق إمارة بني مرين وهو ما دفعهم إلى إنهاء حصارهم على مراكش³ والخروج لملاقاة الزيانيين، والتقى الجيشان في وادي تلاغ سنة 666هـ/1267م في واحدة من اعنف المعارك بين الطرفين، حتى أن النسوة خرجن سافرات من أجل تحريض الجنود للدفاع عنهم وعن مدينتهم⁴. غير أن التفوق العددي لبني مرين مكنهم من حسم المعركة لصالحهم وعاد الجيش الزياني يجر أذيال الهزيمة إلى تلمسان وهلك خلال هذه الموقعة عمر ابن يغمراسن وهو اكبر أولاده⁵. بعد هذه الموقعة سار السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق لحصار مراكش وتمكن من القضاء على أبو دبوس سنة 668هـ/1269م وبذلك ينتهي ملك الموحيدين⁶.

1 - أبو دبوس، عبد الواحد بن أبي حفص هو آخر سلاطين الدولة الموحدية (645-668/1247-1269م)، تولى الحكم في فترة انهيار الدولة بعد أن تقلص نفوذها إلى مراكش فقط، بين سنتي 1266 و 1269م. لُقّب بـ"أبي دبوس" لأنه كان يفضل حمل دبوس حديدي بدلاً من السيف. انتهى حكمه بمقتله على يد المرينيين في معركة وادي اللب، وبمقتله سقطت الدولة الموحدية نهائياً. ينظر ابن خلدون، المصدر السابق، ص 237.

2 - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، المغرب، (د ط)، 1972، ص 112.

3 - المصدر نفسه، ص 115.

4 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 305.

5 - حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط 5، 1421هـ/2000م، ص 234.

6 - المراكشي، المصدر السابق، ج 3، ص 418-419؛ ابن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب، ص 304-305.

في الوقت ذاته استغل الأمر في العدو الأندلسية وازدادت التحرشات المسيحية ضد بني الأحمر الذين سارعوا للاستنجاد بالسلطان المريني يعقوب بن عبد الحق وقد كان لزاماً على هذا الأخير أن يأمن جانب الزيانيين إذا ما أراد نصرة بني الأحمر فبعث لتلمسان وفدا يعرض عليهم الهدنة ، إلا أن يغمراسن رفض الهدنة وذلك بسبب مقتل ابنه في معركة تلاغ ورد على الرسول قائلاً "لا صلح بيني وبينه ولو بلغت في حربه الردى، لقد قتل ولدي وقرة عيني وولي عهدي عمر، أصالح وأهدر دمه؟ والله لا كان هذا أبداً ولا أترك دم ولدي يمضي سداً حتى آخذ منه الثأر وأضيق بلاده التباري"¹، فغض السلطان المريني النظر عن نصرة بني الأحمر.

3- معركة ايسلي الثانية 670هـ/1272م

بسبب رفض يغمراسن بن زيان الصلح مع المرينيين وجه السلطان المريني أبو يوسف يعقوب حملة جديدة ضد الزيانيين والتقى الجيشان في منطقة ايسلي وكانت الغلبة مرة أخرى لصالح المرينيين الذين قتلوا أبو عنان فارس ابن يغمراسن هذا الأخير الذي فر باتجاه تلمسان فلحقه المرينيين وحاصروه بعد أن تحالفوا مع بني توجين بقيادة محمد بن عبد القوي² ، واستمر الحصار مدة من الزمن حتى عودة أبو يوسف يعقوب إلى فاس سنة 671هـ/1272م³.

4- معركة وادي التافنة 678هـ/1280م

نتيجة الهزيمة في معركة ايسلي دخل يغمراسن في صلح مع السلطان المريني أبو يوسف

1 - ابن أبي زرع، الذخيرة، ص130؛ الأنيس المطرب، ص309.

2 - نور الدين غرداوي، دور قبائل بني توجين ومغراوة في السياسة العسكرية للدولة الزيانية ، دراسات تراثية، جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله، ع8، 2014، ج1، ص495.

3 - الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني (610-869هـ/1213-1465م)، دار القلم، الكويت، ط2، 1408هـ، 1987م، ص ص157-158؛ ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص ص309-310.

سنة 673هـ / 1474م ، هذا الأخير الذي طلب الصلح حتى يتمكن من العبور إلى الأندلس ونجدة بني الأحمر في حربهم ضد النصارى¹.

استغل الطرفان فترة الصلح حيث اتجه يغمراسن لينتقم من بني توجين ، وفي الوقت نفسه زحف أبو يوسف يعقوب على سجلماسة وانتزعها من الزيانيين سنة 673هـ / 1274م². غير أن أهم سبب لنقض الصلح لجوء بني الأحمر ليغمراسن ضد بني مرين الذين رأوا فيهم تهديدا لحكمهم³ ورغم محاولة بني مرين طلب الصلح من جديد إلا أن يغمراسن رفض و أصر على قتالهم، وردّ على رسولهم قائلاً "لا صلح بيني وبينه أبداً وليس له عندي ما عشت إلا الحرب ... فقل له يتأهب للقائي وليستعد لنزالي وقتالي"⁴.

نتيجة لهذا التهديد الزياني زحف بنو مرين للمغرب الأوسط والتقى الجيشان بوادي التافنة سنة 678هـ / 1280م، ولم ينفع يغمراسن تهديده وبطش الجيش المريني بقواته في حين لاز بقية الجيش بالفرار إلى الصحراء⁵.

إن الهزائم المتتالية ليغمراسن وفقده لولديه في مواجهة بني مرين جعلته يوقن بقوة عدوه فأوصى ابنه وولي عرشه بضرورة مسالمة بني مرين وعدم التعرض لهم⁶.

ثانيا - مظاهر الصراع العسكري خلال القرن 8هـ / 14م

1 - حصار يوسف بن يعقوب المريني لتلمسان 698هـ / 1299م

1 - نضال مؤيد منال الله عزيز الأعرجي، المرجع السابق، ص 21- 22 ؛ ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب، ص 309- 310 .

2 - محمد الطمار ، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر (د،ط)، 1984م، ص 87؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، ص 114.

3 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الوطنية، الجزائر، (د،ط)، 1965م، ج1، ص، 105 .

4 - ابن أبي زرع، الأنيس، ص335.

5 - محمد الطمار، المرجع السابق، ص89.

6 - عطاء الله دهيبة، وصية يغمراسن، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، ع6، 27 جويلية 1969م، ص ص 22-26 ؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص123.

بعد تولي السلطان يوسف بن يعقوب¹ السلطة قام بشن أربع حملات عسكرية على تلمسان سنوات 689هـ، 695هـ، 696هـ، 697هـ² ، ولعل السبب الرئيسي لهذه الحملات هو إجارة عثمان بن يغمراسن لأبي عامر بن يوسف بن يعقوب ووزيره ابن عطو كما ذكرنا سابقا. إلا أن اشد حملة وأطولها هي الحملة الخامسة التي كانت يوم الثلاثاء 2 شعبان 698هـ/ 1299م والتي تعرف بالحصار الطويل على تلمسان³ ، حيث وصف التنسي هذا الحصار بقوله " وجاء في الخامسة- يقصد يوسف بن يعقوب- بجيوش تملأ الفضا فاستولى على جميع أعمال تلمسان ولم يبق له غيرها"⁴ ولم يجد السلطان أبو سعيد سوى التحصن داخل تلمسان عملا بوصية بوصية أبي يغمراسن⁵. والجدير بالذكر أثناء الحصار تمكن يوسف بن يعقوب من إخضاع العديد من أعمال الدولة الزيانية مثل وهران والشلف سنة 699هـ/ 1300م حتى خضع له تقريبا كامل المغرب الأوسط⁶.

استمر الحصار ثمانية سنوات وأربعة أشهر حسب العديد من الروايات التاريخية مثل عبد الرحمن بن خلدون⁷ وابن أبي زرع الفاسي⁸. أثناء هذه المدة توفي السلطان الزياني وخلفه ابنه ابنه أبو زيان محمد بن عثمان (703-707هـ/ 1304-1308م)⁹ الذي واصل نهج أبيه في الذود

1 - أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المريني، هو أحد أبرز سلاطين الدولة المرينية، تولى الحكم سنة 684هـ/ 1286م بعد وفاة والده السلطان أبي يوسف يعقوب. تميز حكمه بتوسع نفوذ الدولة المرينية في المغرب الأوسط ومواجهة التهديدات المسيحية من الشمال، كما أولى اهتماما كبيرا بالعلم والعمارة، وأسس عددا من المدارس والمساجد بفاس. اغتيل سنة 706هـ/ 1307م، وخلفه ابنه أبو ثابت عامر. ينظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ص 77.

2 - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص 230-231.

3 - ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية، ص 50.

4 - التنسي، المصدر السابق، ص 130.

5 - الحاج محمد بن رمضان شاوش، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2011، ج1، ص 70.

6 - ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 386-387؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 292.

7 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 128.

8 - ابن أبي زرع الفاسي، المصدر السابق، ص 186.

9 - التنسي، المصدر السابق، ص 178.

على تلمسان، إلى غاية مقتل السلطان يوسف بن يعقوب على يد احد خدمه سنة 706هـ/1307م¹ وتسبب ذلك في حالة من الفوضى في صفوف جند المرينيين وفي اضطرابات سياسية داخل الدولة فانتهاز بنو زيان الفرصة وبرزوا لجنود بني مرين وانتصروا عليهم سنة 707هـ/1307م وعقد أبو زيان صلحا مع أبو ثابت المريني خليفة أبي يعقوب²، وبذلك ينتهي الحصار على تلمسان ويشرع أبو زيان محمد في استعادة ما استولى عليه المرينيين وإصلاح ما أفسدوه³.

2- حملة سعيد بن عثمان عبد الحق على تلمسان سنة 717هـ/1317م

تولى حكم بني زيان السلطان أبو حمو موسى الأول بعد وفاة والده (707-718هـ/1308-1318م) والذي هادن بني مرين وانشغل في تنظيم البلاد والقضاء على المتمردين في إمارته مثل قبائل مغراوة وبني توجين⁴، غير أن صلحه مع بني مرين لم يستمر طويلا فقد سير السلطان المريني سعيد بن عثمان بن عبد الحق حملة على تلمسان سنة 717هـ/1317م ، بسبب استقبال أبو حمو موسى للمتمردين من بني مرين وعلى رأسهم يعيش بن يعقوب المريني أخ السلطان أبي سعيد عثمان ورفضه تسليمهم ، غير أن تلمسان استعصت على سعيد بن عثمان فأنتهى حملته عليها وقتل راجعا إلى فاس¹.

3- حملة أبي الحسن المريني على تلمسان (735-737هـ/1334-1336م)

تولى حكم بني زيان أبو تاشفين عبد الرحمن الأول (718-738هـ/1318-1337م) اثر اغتياله لولده أبو حمو موسى الأول² ، وواصل سياسة أسلافه التوسعية واستطاع بلوغ تونس وهدد

1 - المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (د د)، القاهرة، (د ط)، 1940م، ج2، ص ص335-336؛ ابن خلدون المصدر السابق، ص129.

2 - لطيفة بشاري بن عميرة، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان، تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرنين 7-10هـ، 13-16م، أفكار أفكار وآفاق، ع 3، 2012، ص 64.

3 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص13؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ص 130.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص132.

كيان الدولة الحفصية³ هذه الأخيرة التي اهتدت إلى التحالف مع بني مرين لدرء خطر أبو تاشفين وكان ذلك عن طريق المصاهرة بتزويج إحدى أميرات الدولة الحفصية بابي الحسن بن السلطان أبي سعيد المريني وهو ما تم فعلاً⁴ ، وبعد ازدياد الخطر الزياني على بني حفص هبَّ السلطان أبو الحسن الذي اعتلى عرش بني مرين سنة 731هـ/1331م لنصرة أصهاره الحفصيين⁵ ، ثم سير حملة نحو تلمسان سنة 735هـ/1335م، وسيطر في طريقه على العديد من أعمال أبي تاشفين مثل وجدة وهنين، ثم ضرب حصاراً على تلمسان ابتداء من سنة 736هـ/1336م، واستمر الحصار ثلاثين شهراً ، إلا أن بني مرين هذه المرة تقطنوا إلى مصدر المياه الذي يغذي تلمسان فقطعوه عنها فكان ذلك سبباً في انهيارها ، ودخل السلطان أبو الحسن تلمسان سنة 737هـ/1337م وقضى على السلطان أبو تاشفين ، ودانت تلمسان والمغرب الأوسط كله لبني مرين⁶.

4- أبو حمو موسى الثاني في مواجهة بني مرين

تمكن أبو حمو موسى الثاني من استعادة ملك بني زيان على تلمسان من جديد اثر سيطرته على تلمسان سنة 760هـ/1359م ورغم محاولة الوزير الحسن بن عمر - المتصرف في شؤون مملكة بني مرين نظراً لحدثة سن السلطان السعيد بن أبي عنان - استرجاع مدينة تلمسان سنة 760هـ/1359م إلا انه لم يتمكن من ذلك نظراً لدهاء أبي حمو الذي ترك تلمسان ولجأ إلى الصحراء لعدم قدرته على مواجهة بني مرين⁷.

1- التنسي، المصدر السابق، ص187؛ ابن خلدون، المصدر السابق ، صص135-136.

2 - يحي بوعزيز، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الدينية، الجزائر، (د ت)، ص65.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، صص143-145.

4 - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص218.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق ، صص146-147.

6 - المصدر نفسه ، صص147-148.

7 - المصدر نفسه ، ص164.

بعد تولي السلطان إبراهيم بن أبي الحسن المكنى بأبي سالم حكم بني مرين سنة 760هـ/1358¹ طمع في أن يدنو له حكم تلمسان والمغرب الأوسط عامة فسير حملة باتجاه تلمسان سنة 761هـ/1360م ، إلا أن أبو حمو أعاد خطته مرة أخرى وهي اللجوء للصحراء ومن معه من حلفائه غير انه في هذه المرة التفت إلى أعمال بني مرين بالقرب من ملوية وعاث فيها تخريباً² وحين بلغ الأمر أبو سالم المريني انسحب من تلمسان تاركاً على رأسها محمد بن عثمان بن أبي تاشفين بن يغمراسن المكنى بأبي زيان، هذا الأخير الذي غادر تلمسان وانزوى بحكم وهران ومليانة ودخل أبو حمو تلمسان مرة أخرى و استعاد وهران ومليانة من يد ابن عمه أبي زيان³. بعد أن استتب الأمر لأبي حمو قرر الانتقال إلى مرحلة جديدة لم يعهدها ملوك بني زيان وهي الإغارة على ملك بني مرين وعدم الوقوف موقف المدافع فكانت حملته على تخومهم سنة 766هـ/1365م، أين خرب الزروع وغنم منها الكثير⁴.

غير أن أبا حمو لم يهنأ طويلاً بملك تلمسان حيث وجه السلطان المريني عبد العزيز بن أبي الحسن المكنى بأبي فارس (768-774هـ/1366-1372م). حملة على تلمسان سنة 772هـ/1370م ، نصرة لقبالية بني سويد⁵ التي كان قد غزاها أبو حمو، هذا الأخير الذي فر إلى الفيافي تارك تلمسان لبني مرين الذين لاحقوه حتى منطقة الزاب وخربوا حاميته ليبقى شريداً في الصحراء لمدة سنتين⁶، ولم يعد إلى تلمسان إلا سنة 774هـ/1372م بعد وفاة السلطان عبد العزيز، حيث تغلب على إبراهيم بن أبي تاشفين عامل المرينيين على تلمسان⁷. وفي سنة

1 - ابن الأحمر، روضة النسر، ص30.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص167.

3 - المصدر نفسه، ص167.

4 - المصدر نفسه، صص 170-171.

5 - بني سويد، تنسب إلى سويد بن عامر بن مالك، كانوا حلفاء يغمراسن بن زيان حيث اقطعهم البطحاء والسرّات، كما كان لهم دور بارز في تاريخ المغرب الأوسط. ينظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، صص 59-60.

6 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، صص 176-177.

7 - ابن الأحمر، روضة النسر، ص56؛ ابن خلدون، المصدر السابق، صص 178-180.

783هـ/1381م غزا أبو حمو مدينة تازا وخرب قصورها ، مستغلا انشغال السلطان المريني في حربه ضد قبيلة المعقل بسبب تحالفها مع بني زيان¹، وقد كان رد السلطان أبو العباس المريني توجيه حملة تأديبية على تلمسان التي دخلها سنة 786هـ/1384م ، فما كان من أبو حمو إلا الخروج منها والالتجاء إلى حصن تاحموت² .

لم يلبث السلطان أبو العباس طويلا حتى غادر تلمسان ليتصدي لحملة بني الأحمر على سبتة. فعاد أبو حمو إلى تلمسان من جديد ، ويبدو أن الفتن والإغراءات المرينية دفعت بابي تاشفين إلى قتل والده أبو حمو سنة 791هـ/1390م، وتولي حكم بني زيان باسم بني مرين الذين خطب لهم في المساجد ودفع لهم الإتاوات، وبذلك أصبحت دولة بني زيان خاضعة لبني مرين بعد عهود من الصراع بينهما³.

دخل أبناء البيت الزياني في صراع من أجل السلطة و بتأجيج من بني مرين. وبعدهم الأسبان الذين استغلوا فترة الضعف العام للمغرب الإسلامي للانقضاض على المنطقة إلى غاية سقوط حكم بني زيان سنة 962هـ/1554م على يد العثمانيين.

1 - عيساوي، مها، أبو حمو موسى الزياني (السلطان الأديب)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج 1، ع1، 2007، ص 144-160.

2 - الناصري، المصدر السابق، ج4، ص ص73-75.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص190-196.

الفصل الثاني:

الآثار السياسية والعسكرية

على المغرب

الأوسط (647-962هـ)

المبحث الأول: الآثار السياسية

نتج عن الصراع الزياني المريني عدة آثار وانعكاسات على المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة ، مس هذا الصراع العديد من مناحي الحياة ومنها الجوانب السياسية والتي سنحاول أن نستخلص بعضا منها من خلال هذا المبحث .

أولا - التحالفات السياسية

نظرا لضراوة الصراع العسكري الزياني المريني؛ سعى الطرف الزياني للبحث عن تحالفات للاستقواء بها على خطر بني مرين خاصة أن دولة بني عبد الواد وبحكم موقعها الجغرافي بين مطرقة بني مرين وسندان بني حفص جعلها تتحمل العبء الأكبر من الصراع العسكري بين دويلات المغرب الإسلامي، ومن أهم هذه التحالفات، نجد التحالف الزياني الحفصي الذي كان موجها ضد التحالف الموحي المريني حيث استطاع يغمراسن هزيمتهم في موقعة قرب تامزجزجت¹ جنوب وجدة سنة 646هـ/1247م ، وقتل في هذه الموقعة السلطان الموحي أبو الحسن السعيد²، كما توطد التحالف الزياني الحفصي بزواج أبو سعيد عثمان بإحدى أميرات بني حفص³، وكان من نتائج هذا الزواج استتجاد أبو سعيد عثمان بن يغمراسن بصاحب بجاية الأمير الحفصي أبو زكرياء الأوسط⁴ أثناء الحصار المريني على تلمسان ،حيث أرسل أبا زكرياء الحفصي أخاه يحيى لنصرة عثمان ودارت بينه وبين بني مرين معركة كبيرة وقعت فيها مقتلة كبرى حتى سميت في التاريخ بمعركة مرسى الرؤوس بالقرب من جبال الزاب، ويصف ابن خلدون هذه الموقعة حيث يقول "... ويسمى المعترك لهذا العهد بمرسى الرؤوس لكثرة ما تساقط الرؤوس في

1 - تامزجزجت، منطقة جنوب وجدة يطلق عليها اسم تامزجرت. ينظر، أبي زرع، الذخيرة، المصدر السابق، ص72.

2 - التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، تح و تع، محمد بوعباد، المؤسسة الوطنية للكتاب و المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1405هـ، 1985م، ص118.

3-حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، عصور الجديدة، ع2، 1432هـ، 2011م، ص144.

4 -أبو زكرياء الأوسط ، استقل الأمير أبو زكرياء الأوسط بالمناطق الغربية للدولة الحفصية من بجاية إلى قسنطينة بعد وفاة الأمير المستنصر صاحب الدولة الحفصية، ينظر، ابن خلدون ، المصدر السابق، ج6، ص 461 .

ذلك المجال ...¹ ، وكانت سببا في التحالف المريني الحفصي ضد بني زيان رغبة منهم في استرداد بجاية التي كانت قد انفصلت عنهم ، وكان ذلك سببا في القطيعة بين بني زيان وبني حفص حيث اسقطوا الدعوة لهم على المنابر².

تحالف بنو عبد الواد أيضا مع الدولة الموحدية ضد الدولة المرينية، والحقيقة أن الملوك المتأخرين للدولة الموحدية في كثير من الأحيان كانوا هم المبادرين لعقد تحالفات مع الدولة الزيانية تارة ومع بني مرين تارة أخرى لضربهما ببعضهما ومن ثم إضعافهما كما ذكرنا في الفصل الأول ومن أمثلة التحالف العبد وادي الموحي؛ ذلك الذي تم في موقعة فحص مسون سنة 540هـ/1145³.

إن الدعوة الأندلسية لم تكن في منأى عن الصراع الزياني المريني بل استغلت ممالكها هذا الصراع لخدمة مصالحها مما كان له انعكاس وتأثير على مجريات الأحداث في المغرب الأوسط ومن أمثلة ذلك، تلك التحالفات التي تمت بين ملوك بني الأحمر وبني زيان حيث سعى بنو الأحمر لكبح التوسع المريني ببلاد الأندلس من خلال توثيق علاقتهم بالزيانيين بعد رفضهم التخلي عن مالقة لصالح بني مرين؛ حيث حرض بني الأحمر سنة 678هـ/1280م الزيانيين لافتعال الاضطرابات والفتن على حدود دولة بني مرين الشرقية حتى يشغلهم عن العبور باتجاه الأندلس وأجد محمد بن الفقيه بن الأحمر⁴ في ذلك بإرساله العديد من الهدايا لتلمسان، منها ثلاثين من الخيول العربية والثياب والأموال⁵ وهو ما تم فعلا حيث انشغل المرينيون بمجابهة بني زيان سنة 680هـ/1281م⁶، ومن باب رد الجميل افتعل بن الأحمر اضطرابات بالأندلس لتخفيف الحصار

1- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص131.

2- المصدر نفسه، ص131.

3- يحي بن خلدون، المصدر السابق، ص89.

4 - محمد الثاني بن محمد بن يوسف بن نصر، المعروف بلقب "الفقيه"، هو ثاني سلاطين الدولة النصرية في غرناطة تولى الحكم بعد وفاة والده محمد الأول بن الأحمر في عام 671-701هـ/1273-1302م، ينظر، ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص261.

5- الناصري، المصدر السابق، ج3، ص50.

6- ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص ص 235-236-237.

المريني على تلمسان¹، كما استنجد أبو حمو أيضا ببني الأحمر لمواجهة السلطان المريني أبو العباس بن إبراهيم سنة 786هـ/1384م²، فقام بنو الأحمر بتحريض موسى ابن أبي عنان (768-788 هـ/1367-1386م)³، - و الذي كان يقيم بالأندلس - على أبي العباس وخلعه وإعلان نفسه ملكا⁴.

غير أن هناك روايات تاريخية تشكك في هذه التحالفات وأن ما حدث من اضطرابات كان محض صدف، حيث تزامن مع الخلاف المريني النصيري، وأن يغمراسن ليس له أي فائدة من هذه التحالفات، وأن ما أورده ابن خلدون من تحالفات ما هو إلا تبرير لغزو بني مرين لتلمسان غير أننا نجد أن بني الأحمر تحالفوا مع الممالك النصرانية أعداء الإسلام فما يمنعهم من التحالف مع بني زيان، وما الذي يجبر ابن خلدون على تبرير الهجوم المريني على تلمسان خاصة أن بني زيان تعرضوا لحمولات قبل هذا التحالف⁵.

ليس بعيدا عن مملكة بني الأحمر في الأندلس، عمل بنو زيان على إقامة سلسلة من التحالفات والمعاهدات مع الممالك المسيحية في شبه الجزيرة الأيبيرية، وذلك بهدف مواجهة تهديد الدولة المرينية. وشملت هذه العلاقات جوانب متعددة، سواء سياسية أو تجارية، وتفاوتت ما بين فترات من السلام وأخرى من التوتر.

من أبرز تلك العلاقات، ما كان مع مملكتي قشتالة وأرغون، حيث تبادل الزਿਆنيون معهما الرسائل والبعثات الدبلوماسية، وتم توقيع عدد من المعاهدات، ومن الأمثلة البارزة على ذلك، سفارة ملك قشتالة ألفونسو العاشر إلى يغمراسن بن زيان في أواخر سنة 676هـ/1278م، وقد أرسلت

1- بسام كامل عبد الرزاق الشقدان، المرجع السابق، ص95.

2- إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ منذ بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1398هـ، 1987م، ج2، ص65.

3- موسى ابن أبي عنان ، كان يعيش مع أسرته بكفالة أسرة بني الأحمر، تولى السلطة بعد خلع أبي العباس، ينظر، إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص66.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 463-465.

5- سالم غومة، المرجع السابق، ص40.

هذه السفارة بالتنسيق مع سلطان بني الأحمر، وكان الهدف منها تحريض يغمراسن على معاداة السلطان المريني أبي يوسف يعقوب، والعمل على إضعاف نفوذه وتعطيل حركته الجهادية في الأندلس¹.

أما مع مملكة أرغون، فقد كانت هناك مراسلات ومعاهدات متعددة، من أبرزها بعثة دبلوماسية سنة 719هـ/1319م أرسلها ملك أرغون جاك الثاني إلى أبي تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن. وقد حمل الرسالة سفير أرغون "بيرنار ديسبرينك"، وكان هدفها تحفيز أبي تاشفين على افتعال مناوشات ضد السلطان المريني أبي سعيد عثمان².

ثانيا - المؤامرات والاعتداءات

من أبرز آثار الصراع بين الدولتين المرينية و الزيانية تفشي ظاهرة المؤامرات والاعتداءات داخل الأسرة الزيانية نفسها، ومن أهم مظاهر ذلك، اندلاع نزاع دموي بين السلطان أبي حمو موسى الثاني وابن عمه ، أبو زيان بن عثمان بن أبي تاشفين الأول سنة 762هـ/1361م حيث التجأ هذا الأخير إلى بني مرين مطالباً نصرتهم فأمدوه بالمال والجند وطال الصراع بين الطرفين و انتهى بتغلب أبي حمو على أبي زيان سنة 769هـ/1368م³، ولم يلبث أن استتب الأمر لأبي حمو حتى ثار عليه ابنه أبي تاشفين، هذا الأخير كان يخشى من منافسة إخوته (المنتصر، وأبو زيان، وعمير) على العرش بعد وفاة والده، خصوصاً وأن الأب كان يميل إليهم ويعطف عليهم، ما أوجع نار الفتنة وأدى إلى اندلاع حرب بين الطرفين. انتهت بمقتل الأب في غرة ذي الحجة سنة 791هـ / 21 نوفمبر 1389م⁴، وتولى بعدها أبو تاشفين السلطة. ومع توليه الحكم، دخلت الدولة

1 - عبد العزيز بن عبد الله، الدولة الزيانية وعلاقاتها الخارجية في المغرب الأوسط، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981، ص 155.

2- الناصري، المصدر السابق ، ج 4 ، ص 121.

3- محمد بن يوسف الزياني، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح، المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م، ص143؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 128-130.

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 353؛ التنسي، المصدر السابق، ص253.

الزيانية مرحلة جديدة اتسمت بتزايد التدخلات الخارجية، خصوصًا من الدولة المرينية، إذ إن استعانة أبي تاشفين بالمرينيين ضد والده فتحت الباب أمامهم للاستمرار في سياسة التدخل غير المكلف، ما منحهم نفوذًا واسعًا على الشأن الزياني، خاصة مع ضعف الحكم الناتج عن التنزع الداخلي. سارع المرينيون إلى استغلال هذا الوضع بإثارة الفتن داخل الأسرة الحاكمة¹ فحينما اندلع صراع جديد بين أبي تاشفين وأخيه أبي زيان، وانهزم الأخير، لجأ إلى المرينيين طالبًا دعمهم فأرسلوا له حملة عسكرية وعينوه على رأسها، لكنها توقفت بتأزًا بعد وفاة أبي تاشفين في 17 ربيع الآخر سنة 795هـ / فبراير 1393م²، وتم الزج به في السجن. عندها تدخل يوسف بن أبي حمو موسى الثاني والي الجزائر ، ودخل تلمسان، حيث قتل أبا ثابت بن أبي تاشفين بعد نحو أربعين يومًا من توليه الحكم³، واستولى على السلطة. لكن لم يطل حكمه، إذ هاجمه أبو فارس ابن السلطان المريني أبي العباس، ما اضطره للجوء إلى حصن تاجحمومت، بينما استولى القائد المريني على تلمسان وواصل التوسع في الشرق، إلى أن عاد إلى فاس بعد وفاة والده لتولي الحكم هناك.

لاحقًا، أطلق سراح أبي زيان، وكُلف بقيادة جيش للسيطرة على تلمسان باسم المرينيين، فنجح في مهمته، وبويع بالإمارة في غرة ربيع الآخر 796هـ / 3 فبراير 1394م⁴، غير أن طموح أبي زيان في الاستقلال عن المرينيين، جعله هدفًا لحملة جديدة دعموا فيها أخاه أبا محمد عبد الله بن أبي حمو الثاني سنة 801هـ / 1398م. وبعد ست سنوات خلعوه ونصبوا أخاه الآخر أبا عبد الله المعروف بابن خولة حاكمًا. وبعد وفاة ابن خولة، خلفه ابنه عبد الرحمن في ذي القعدة سنة 843هـ / مارس 1411م، ثم تولى الأمر عمه السعيد بن أبي حمو في أواخر محرم سنة 814هـ /

1- ينظر Abdallah Laroui, L'Histoire du Maghreb, Un essai de synthèse, François Maspero, Paris, 1970, p 215

2 - عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الحياة، بيروت، ط2، 1965، ج2، ص181؛ التتسي، المصدر السابق، ص279.

3 - التتسي، المصدر السابق ص282.

4 - المصدر نفسه ، ص288.

1412م. لكن السعيد لم يصمد طويلاً، إذ دعم المرينيون أخاه أبا مالك عبد الواحد¹، الذي نجح في الوصول للحكم، وما إن استتب له الأمر، حتى حاول التخلص من النفوذ المريني، مستغلاً ضعفهم، لدرجة أنه نصب بفاس السلطان محمد بن أبي طريق بن أبي عنان المريني².

ثالثاً- قبائل المغرب الأوسط بين التمرد والولاء

رغم حرص بني زيان على إقامة سلسلة من الولاءات القبلية تكون لهم معيناً أمام الصراع مع بني مرين، إلا أن الكثير من القبائل وجدت في هذا الصراع الفرصة الملائمة لخلع يد الطاعة من ملوك بني زيان ، والانفصال عنهم أو إعلان البيعة والولاء لبني مرين أو بني حفص، ونظراً لكثرة القبائل وتشابك النسيج القبلي في المغرب الأوسط سنحاول تسليط الضوء على القبائل البارزة وانعكاسات الصراع الزياني المريني عليها ، ذاكرين بعض الأمثلة عن هذه القبائل بين الولاء والتمرد ؛ ففي عهد الشيخ محمد بن منديل، زعيم قبائل مغراوة، سادت أجواء من الهدوء والمصالحة بينه وبين يغمراسن بن زيان، وتوصل الطرفان إلى اتفاق ومهادنة، بل وشاركت قبائل مغراوة مع يغمراسن في حملة عسكرية ضد المرينيين سنة 647هـ / 1249م، لكن الحملة انتهت بالهزيمة أمام يعقوب بن عبد الحق المريني، ما اضطرهم للانسحاب والعودة إلى ديارهم³، لكن يغمراسن رغم تحالفهم المؤقت، لم يطمئن لهم ورأى فيهم تهديداً محتملاً، فهاجم معاقلهم، ونتيجة لذلك توترت العلاقات من جديد، واستغلت قبائل بني توجين و مغراوة الوضع فأعلنت التمرد، وهنا يروي لنا ابن خلدون ذلك بقوله : "... لَمَّا رَجَعَ يَغْمَرَسَنُ بْنُ زِيَانَ مِنْ لِقَاءِ بَنِي مَرِينٍ بِإِسْلِي مِنْ نَوَاحِي وَجْدَةِ الَّتِي كَانَتْ سَنَةَ 647هـ/1249 م، وَكَانَ مَعَهُ فِيهَا عَبْدِ الْقَوِيِّ بْنُ عَطِيَّةٍ بِقَوْمِهِ مِنْ بَنِي تَوْجِينٍ، وَهَلَكَ مَرْجِعُهُ مِنْهَا، أَنْفَذَ يَغْمَرَسَنُ الْعَهْدَ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ الْأَمْرِ بَعْدَهُ، وَزَحَفَ إِلَى بِلَادِهِ، فَجَاسَ خِلَالَهَا وَنَازَلَ حَصُونَهَا، فَامْتَنَعَتْ عَلَيْهِ، وَأَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْقَوِيِّ فِي دِفَاعِهِ، ثُمَّ زَحَفَ ثَانِيَةً سَنَةَ 650هـ/1252م إِلَيْهِمْ، فَنَازَلَ تَافْرَكِينَتَ مِنْ حَصُونِهِمْ، وَكَانَ بِهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي زِيَانَ حَافِدٌ مُحَمَّدُ بْنُ

1 - لطيف بشاري بن عميرة، المرجع السابق، ص 70.

2 - التنسي، المصدر السابق، ص ص 325-342.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 88.

عبد القوي، فامتنع به في طائفة من قومه، ورحل يغمراسن كظيماً، ولم يزل يغمراسن بعدها يشير الغارات على بلادهم ويجمع الكتائب على حصونهم¹.

نستشف مما سبق العداء المتبادل والصراع المستمر بين يغمراسن وهذه القبائل، فحين يواجههم بقوة يظهرون الطاعة والولاء، ويقدمون الدعم لدولته، لكن بمجرد انشغاله بصراع خارجي مع المرينيين أو بني حفص، ينقلبون عليه ويستنزفون قواه، مما جعل يغمراسن في حالة تأهب دائم تجاههم. ويبدو أن الدافع وراء هذه الصراعات ليس فقط سياسي بل أيضاً الغيرة والتنافس العائلي كونهم جميعاً من أصل زناتي².

كمثال آخر، في سنة 657هـ / 1259م، طلب يغمراسن من بني توجين دعمه في حملته الجديدة ضد المرينيين، فانضموا له، لكنهم خسروا المعركة مجدداً، مما زاد الفجوة بينهم، خصوصاً بعد أن تحالف محمد بن عبد القوي مع يعقوب بن عبد الحق المريني، وعندما حاصر يعقوب تلمسان سنة 670هـ / 1271م، انضم له محمد بن عبد القوي بكل قوته وقبيلته، وساهم في الحصار الذي انتهى بالفشل، لكن الضرر كان كبيراً، فقد قام بنو توجين بتخريب الأراضي و الزروع في محيط تلمسان. ويحكي الناصري تفاصيل دقيقة عن هذا التحالف، مشيراً إلى أن السلطان يعقوب استقبل محمد بن عبد القوي استقبالاً حافلاً، وأكرمه وأغدق عليه الهدايا، وقدم له الدعم العسكري مما يُظهر عمق الفتنة الداخلية التي كانت تنهش جسد الدولة الزيانية في بدايتها³.

من كل هذا يتضح أن الدولة الزيانية في بداياتها كانت تعاني تمردات داخلية متكررة خاصة من القبائل الزناتية ، مما أعاق تطورها العسكري والسياسي، في ظل صراعات داخلية وتحالفات خارجية خطيرة ، كما أن هذه التحالفات و التمردات لم تنعكس على الدولة الزيانية فقط بل كان لها انعكاس على القبائل ذاتها حيث تأثرت البنية القبلية ، نتيجة الدور المركزي الذي لعبته

1 - ابن الأحمر، روضة النسرین، ص65؛ ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 116-117.

2 - نور الدين غرداوي، المرجع السابق، ص493.

3 - الناصري، المصدر السابق، ج3، ص33.

في الصراعات ، سواء كمحاربين أو كوسيلة للسيطرة على المجال الجغرافي، وتأثرت بشكل مباشر بالصراع، نتيجة التحالفات، والهجرات، وسياسات التمزيق أو الاحتواء التي اتبعتها الدولتان المتنافستان. (الزيانية و المرينية).

المبحث الثاني: الآثار العسكرية

كان للصراع الزياني المريني انعكاس كبير على الجانب العسكري سواء في مجالات التجنيد و التسليح والخطط العسكرية و التحصينات وما إلى ذلك طيلة فترات الصراع الزياني مع ممالك المغرب الإسلامي ، وكان الهدف من كل ذلك مجابهة الأخطار الخارجية وفي مقدمتها الخطر المريني وكذلك القضاء على الاضطرابات الداخلية ومن تلك الآثار نجد :

أولاً- التحصينات العسكرية

اهتم بنو عبد الواد ببناء الحصون لدفع الخطر المريني وكذا الحفصي، رغم أن الكثير من هذه الحصون كانت موجودة قبل قيام الدولة الزيانية ، بحكم طبيعة البلاد ومن أشهرها حصن توانت، حصن تانكرمت، حصن هنين وفي مقدمه الحصون أيضا مدينة تلمسان نفسها التي صمدت أكثر من ثمان سنوات أمام الحصار المريني(ينظر الملحق رقم:3، ص67)، و إلى جانب تلمسان فان من أشهر الحصون التي بناها بنو زيان نجد حصن تامزجرت الذي يقع جنوب وجده وحصن اصفون القريب من بجاية والذي شيده السلطان أبو حمو موسى الأول، كما بنى السلطان أبو تشافين عبد الرحمن ،حصن تامززدكت الجديد، و حصن بكر وحصن الياقوتة القريبين من بجاية أيضا . أما أبو حمو موسى الثاني فقد بنى حصن تاجحمومت، بالقرب من الشلف ، وغالبا ما التجأ له السلطان أبو حمو وأبنائوه أثناء الغارات المرينية، واغلب هذه الحصون كانت تزود بالأقوات والحاميات العسكرية¹ ، إلى غير ذلك من الحصون التي لا يسعنا المقام لذكرها.

1- فوزي مصمودي، تلمسان بعيون عربية، دار السبيل للنشر والتوزيع، تلمسان، ط1، 2011، ص23.

والى جانب الحصون تم الاهتمام بالأسوار فمدينة تلمسان كانت محاطة بسبعة أسوار¹ وهو ما جعل ملوك بني زيان فيما بعد يهتمون بهذا الجانب، حيث يذكر يحيى ابن خلدون أن يغمراسن بن زيان، أمر ببناء عدة أسوار لمدينة تلمسان سنة 668هـ، 1268م خاصة من الجهة الجنوبية الغربية أي من ناحية باب كشوط² التي بنيت بها ستة أسوار³، يصف الإدريسي تلمسان بقوله "...تلمسان مدينة أزلية ولها سور حصين الوثاقه وهي مدينتان في واحدة يفصل بينهما سور"⁴.

ومما يدل على حصانة المدينة أمام المرينيين ما أورده ياقوت الحموي بقوله: "... تلمسان مدينتان متجاورتان مستورتان ...، وكذلك امتاعها لعدد من المرات أثناء الهجومات المرينية المتكررة خير دليل على تحصين المدينة"⁵، وللمدينة أبواب قوية مصفحة بالحديد وقد اختلف المؤرخين في عددها وأسمائها، فيحيى ابن خلدون يذكر أنها خمسة أبواب لقوله "... لها خمسة أبواب ، قبله باب الجياد وشرق باب العقبة وشمالا باب الحلوي وباب القرماديين وغربا باب كشوط"⁶ أما أبو الفداء فأحصى ثلاثة عشر بابا بقوله: "...تلمسان مدينة مشهورة في سفح جبل ولها ثلاثة عشر بابا"⁷، ويبدو أن سبب الاختلاف في عدد الأبواب يعود إلى الاختلاف في حجمها بين الكبيرة والصغيرة والأبواب الرئيسة والفرعية .

1 - بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633-681هـ/1235-1282م، دار الألفية للنشر والتوزيع، ط1، 2011، ص349

2- باب كشوط، يقع في الجهة الجنوبية الغربية الجنوبية من المدينة ، عرف فيما بعد بباب فاس وباب الأرجوحة ، ينظر، عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الجزائر (د ط)، 2002، ج1، ص113.

3 - يحيى ابن خلدون، المصدر، السابق، ص86.

4- الإدريسي، نزهة المشتاق، مكتبة الثقافة، (د ط)، 1994، ج2، ص250.

5 - ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث، بيروت، (د ط)، 1979، ص44.

6 - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ص20.

7 - أبو الفداء عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان، دار صادر، بيروت (د ط)، 1830، ص137.

كما اهتم الزيانيون ببناء الأبراج للمراقبة والدفاع ، ومن أشهر هذه الأبراج، برج القشاقش¹ برج الطاحونة في الطريق المؤدي إلى لالة ستي لحماية طاحونة الدقيق المزود للمدينة² ، برج الإمامة وهو على شكل قلعة في شمال غرب مدينة تلمسان، وبرج القصبة الذي لا تزال آثاره قائمة إلى يومنا هذا في جنوب المدينة بارتفاع خمسة أمتار³.

كما اهتم بنو عبد الواد بالقلاع القديمة ومن أشهرها قلعة المشور في وسط المدينة التي يعود تشييدها إلى زمن الموحدين في القرن 12م⁴، و أسسوا قلاعا جديدة منها قلعة ابن جاهل جنوب المدينة⁵ وقلعة الإمامة التي حاصرها المرينيون سنة 689هـ، 1290م أربعين يوما لكنهم لم يستطيعوا دخولها⁶، بالإضافة للتحصينات السابقة استخدم بنو عبد الواد أسلوب الخنادق لتأمين تلمسان بحيث أحاطوها بخندق عميق مواز لواد متشككة الذي يحيط بالمدينة من الجنوب والشرق وفي الشمال الغربي أقيم خندق آخر يسمى عين كسور، وبالإضافة لكل ما سبق نجد التحصينات الطبيعية كالمنحدرات والوديان⁷.

ثانيا - العدة والعتاد

اهتم بنو زيان بتنظيم الجيش وتسليحه وتجهيزه لمواجهة المخاطر المحدقة وفي مقدمتها الخطر المريني ؛ حيث تشكل الجيش الزياني من أبناء قبيلة بني عبد الواد، بالإضافة للقبائل المتحالفة معهم في فترات مختلفة ، كما استعان بنو زيان بعناصر خارجية منها الأندلسيين والعرب والزنوج، بالإضافة للمرتزقة في فترات مختلفة وفي مقدمتهم النصاري "العلوج" الذين بلغ عددهم في

1 - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص111.

2 - فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص176.

3 - عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق، ص93.

4 - يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص37.

5 - أبو عبيدة البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د د ط)، (د ت)، ص77.

6 - فوزي مصمودي، المرجع السابق، ص176.

7 - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ص114.

عهد يغمراسن نحو ألفي فارس¹. ويبدو أن مسألة استخدام النصاري في الجيش الزياني قد لاقت الكثير من البحث و التّأويل لحساسية هذا الأمر، إلا أن الثابت أن يغمراسن قتل منهم حوالي خمسمائة لما حاولوا اغتيال أخاه أثناء استعراض عسكري في مدينة تلمسان في 25 ربيع الثاني 652هـ/13 جوان 1254م ، ورغم تأكيد يحي بن خلدون بأن بني زيان استغنوا عن الجند النصاري إلا أن الشواهد تثبت غير ذلك على الأقل بعد وفاته².

أما عن تعداد الجيش فيذكر يحي ابن خلدون بأن عددهم بلغ اثني عشر ألف رامٍ من المشاة ناهيك عن الفرسان وذلك في بداية تأسيس الدولة، غير أن هذا العدد كان اقل بكثير من الجيش المريني³، وقد انقسم الجيش إلى اختصاصات متنوعة أهمها فرقة الفرسان المسلحون بالرمح والسهام⁴ بالإضافة إلى اختصاصات أخرى لا يسعنا المقام لتفصيلها.

سعى بنو زيان إلى اختيار المقربين و الأوفياء لقيادة للجيش وهذا ما أشار إليه أبو حمو موسى الثاني حين قال: " يا بني و أما قوادك فلتتخير قوادا من أنجاد جندك، زعماء صادقين في محبتك، وافين بعهدك، ذوي حزم وكفاية، ومعرفة ودراية، لا يصلون إلى الرعية بمضرة ولا بأذية بل يسددون الثغور ويصدون العدو المحذور، ويحيطون البلاد ويمنعونها من كل باغ وعاد وساع في الفساد، فتكون بهم مطمئن خاطر، أمناء في الباطن والظاهر لسدهم الثغور المخوفات..."⁵ لذا كان اغلب القادة من أبناء بني عبد الواد من أمثال عبد المالك بن محمد بن علي بن قاسم بن درع وهو ابن أخت يغمراسن الذي قتل عند استرداد بني مرين لسلجماسنة 673هـ/1274م⁶

1 - عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، تلمسان، ط1، 2011، ص 156-157.

2 - صلاح حسام، الجيش الزياني ودوره في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية (633-962هـ/1235-1555م)، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، مج2، ع4، جويلية 2020، ص54.

3- المرجع نفسه، ص ص54-55.

4 - التنسي، المصدر السابق، ص112.

5 - أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح، تع، محمود بوترة، دار الشيماء ودار النعماء، الجزائر، 2012، ص 125.

6 - بلعربي خالد، المرجع السابق، ص219.

إلا أن بني زيان استعملوا قادة من خارج القبيلة ومن أشهرهم موسى الكردي وهو من بيت عز في الأكراد فروا أمام التتار وخدموا الخليفة الموحي المرتضى ، وبعد إخضاع بني مرين لمراكش انضم بعضهم إلى خدمتهم ومن بينهم موسى الكردي ، إلا أنه انشق عن السلطان يعقوب بن عبد الحق أثناء حصار تلمسان وانضم إلى السلطان الزياني أبي سعيد عثمان بن يغمراسن، وتولى قيادة جيوش أبي حمو موسى الأول بعد وفاة أبي سعيد عثمان¹ ، بالإضافة إلى موسى الكردي نجد العلي مسامح وهو من موالى أبي زيان، حيث قاد المنطقة الشرقية من البلاد²، وغيره من القادة ممن تثبتت كفاءته و ولاؤه.

أما العتاد فلا يختلف كثيرا عن العتاد المستعمل في تلك المرحلة التاريخية من استعمال للخيول والسيوف والرمح³، حيث يذكر يحي بن خلدون: "... فاستركب منهم (يقصد أبا حمو الثاني) في يوم واحد ألف فارس ، يكسي الرجل منهم بقدره ، ويدفع إليه فرس مسرج ملجم و مهماز وسيف ورمح..."⁴ . بالإضافة لما سبق نجد الطبول ورايات الحرب ومما يثبت استعمالها طلب الأمير المريني أبو ثابت بن أبي عامر من أبي حمو الحصول على الطبول والرايات والدعم بالجند أثناء قتاله لابن سالم بن يوسف بن يعقوب حيث تمكن من هزيمته بفضل هذا الدعم⁵ وقد كان تموين الجيش عن طريق ديوان الجند حيث كانت تسجل رتبهم وجرايتهم من بيت المال مباشرة⁶ ، بالإضافة إلى الغنائم من سلاح ومال وجواري وأسرى وأمتعة ، حيث توزع على الجند كعطايا بعد إخراج الخمس لبيت المال⁷.

وعلى العموم فإن الصراع الزياني المريني كان له الأثر البالغ على الجيش ليس فقط من

1- عبدلي لخضر، التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن نديم للنشر والتوزيع، تلمسان، ط1، 2011، ص157.

2 - بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص269.

3 - أبو حمو موسى الثاني، المصدر السابق، صص65-69.

4 - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص39.

5 - التنسي، المصدر السابق، ص135.

6 - عبدلي لخضر، المرجع السابق، ص153.

7 - ابن أبي زرع، الأئيس المطرب، صص286-416.

حيث الاستعداد والتجديد والتسليح والتنظيم لكن من حيث استبساله في الذود عن الدولة، رغم أن الكثير من المصادر لم تعر انجازات الجيش الزياني حقها مثل ابن الأحمر وبعض الدراسات المشرقية التي لم تف الجيش حقه ، إلا أن الواقع والمنتبع لتاريخ الصراع الزياني المريني يستنبط إن الجيش لم يكن لقمة سائغة بل استبسل أيما استبسال في التصدي لهجومات بني مرين وخير دليل على ذلك صموده في وجه الحصار المريني على تلمسان لأكثر من ثماني سنين¹ .

1- صلاحي حسام، المرجع السابق، ص60.

الفصل الثالث:

الآثار الاقتصادية

والاجتماعية

المبحث الأول : الآثار الاقتصادية

تتأثر الحياة الاقتصادية نتيجة الصراع و الحروب و الأزمات المختلفة ومنطقة المغرب الأوسط لم تشذ عن هذه الحالة نتيجة عدم الاستقرار، بعد انهيار الدولة الموحدية واشتداد الصراع الزياني المريني، رغم جهود بعض حكام بني زيان للرفي بالجانب الاقتصادي في شتى المجالات والجوانب ، وسنحاول من خلال هذا الفصل أن نتناول انعكاسات هذا الصراع على مختلف الأنشطة الاقتصادية .

أولاً- الزراعة

تمثل الزراعة النشاط الرئيسي لأغلب الأمم والشعوب في العصر الوسيط ومنها منطقة المغرب الأوسط عموماً والدولة الزيانية خصوصاً التي عرفت بجودة أراضيها ،وتنوع مصادر مياهها واعتناء السكان بها ، حيث زرعت الخضر والفواكه بجانب العيون والوديان، كالجزر والبصل، واللوبياء، والتين والعنب والتفاح وغيرها الكثير من الخير الوفير¹ ، أما الحبوب كالقمح فكانت تزرع في السهول الفسيحة مثل سهل تسالة وسهل الشلف وتيس وسهل وهران ، وهن² لكن لا يسعنا المقام إلى سرد أهم الأنشطة الزراعية وحالتها و منتجاتها بل سنركز على اثر الصراع الزياني المريني على هذا القطاع المهم لأنه يعتبر الركيزة الأساسية لحياة ساكنة المنطقة.

إن الزراعة هي أول نشاط متضرر بالصراع الزياني المريني بحكم الطبيعة البدوية لقبيلتي بني عبد الواد وبني مرين هذه الأخيرة التي عرفت بقسوتها وطابعها البدوي الرعوي فأثناء دخولها المغرب الأقصى في بداية القرن السابع الهجري استوطنت السهول والأراضي الخصبة وقضت على المزروعات التي حولتها إلى مراعي لمواشيها بحكم عدم درايتهم بالزراعة³ ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فان الجيوش تفضل المرور عبر السهول لسهولة السير ولاستخدامها كمراعي لخيولها

1 - القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبو زيد، النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح، محمد عبد العزيز الدباغ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1999، ص187.

2 - الغروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998، ج3، ص573.

3 - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص283.

ومواشيها¹، كما أن النشاط الزراعي بطبيعته يمارس خارج المدن و التحصينات لذلك فإن المتضرر الأول هو المزارع² ؛ فأتداء غزو أبي يعقوب يوسف تلمسان سنة 699هـ/1299م، شاهد ساكنة تلمسان من فوق الأسوار والرعب يملؤهم جحافل الجيش المريني وقد نصبت خيامها عبر الهضاب الممتدة على طول سفوح لالة سيّتي ، وأخذت في نهب الزروع وإفسادها وإطلاق المواشي عليها وقطع الأشجار³ ، ويبدو أن هذا الأسلوب (الأرض المحروقة) كان يتبعه الجيش المريني مع أعدائه مثلما حدث أثناء حصار أبي يوسف المريني لمراكش سنة 668هـ/1269م⁴. يقول برنشفيك في هذا الشأن " وتكون حرب الحصار متبوعة بأعمال تخريب فظيعة، مثل قطع الأشجار وإتلاف المحاصيل... وذلك لا فقط بسبب إضمار الشر ، بل للتأثير في الضحايا الذين يشاهدون أعمال التخريب المذكورة من بعيد وحثم على الاستسلام في اقرب وقت"⁵ كما أن يغمراسن استعمل نفس السياسة وهذا ما يتضح خلال معارك وادي تلاغ وايسلي حين أقدم على حرق الزروع وقطع الأشجار في سهول وجدة⁶.

إن قبائل المغرب الأوسط لم تتورع في انتهاج نفس الأسلوب فأتداء تحالف محمد بن عبد القوي زعيم قبيلة بني توجين مع أبي يوسف يعقوب المريني وغزوهما لتلمسان سنة 680هـ/1281م أخذت قبيلة بني توجين في تخريب الزروع ونهبها انتقاما من يغمراسن . يقول ابن أبي زرع "... فقطعوا الثمار والجناات وخرّبوا الرباع، وافسدوا الزروع، واحرقوا القرى والضياع حتى لم يدعوا بتلك

1 - تيتاو حميد، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م، إسهام في دراسة انعكاسات

الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، (د ط)، 2010، ص 231.

2 رشيد بورويبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1965، ج3، ص 369.

3 - المرجع نفسه، ص 373.

4 - ابن عذارى، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح ،محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص ص 571-572.

5 - روبر برنشفيك، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب

الإسلامي ، بيروت، ط1، 1988، ج2، ص 93.

6 - ابن أبي زرع ، الذخيرة السنية، ص 310 .

النواحي قوت يوم...¹ ، وبعد فشل الحملة على تلمسان انتقم يغمراسن من القبيلة بنفس الأسلوب².

استمرت هذه السياسة الحربية حتى بعد وفاة يغمراسن فهاهو ابن أبي زرع يصف حملة أبي سعيد عثمان المريني على تلمسان بقوله : "... وسار هو بمحلتة خلفهما ولديه - أبا الحسن علي وأبا علي عمر - في بلاد يغمراسن يأكلون زروعها وينهبون أموالها ويقتلون حماتها"³. وكذلك الحال في عهد حملة السلطان المريني أبي الحسن ، لما خرب زروع وأشجار بجاية ، ثم إن هذا التخريب يمتد أثره طويلا لان الأشجار تحتاج لسنوات حتى تعطي أكلها⁴.

وبما أن النشاط الزراعي مرتبط بالريف فان ما حل به من جراء نهب المحاصيل والماشية وتحطيم الزروع جعل الفلاح الزياني يعاني من الفقر والبؤس⁵ ، فهجرت الأرياف و اكتظت المدن بالفلاحين الذين لا يحسنون صنعة إلا الفلاحة⁶. أما من وقعوا في اسر الجيوش المرينية الغازية فقد اجبروا على دفع المغارم أو الانخراط في خدمة الجيش⁷، يقول ابن خلدون "وصاروا في عداد القبائل الغارمة للجباية والعسكرة مع السلطان متى دعوا إليها شان ..."⁸. وكذلك ظاهرة تأجير الفلاحين أثناء الحروب وهي سياسة اتبعها ملوك تلمسان⁹، أما تموين خزينة الدولة فقد كان يتحمل يتحمل الفلاحين الجزء الأكبر منه على شكل ايتاوات و مغارم وعادة ما كانت تدفع كمحاصيل

1 - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص 311.

2 - المصدر، نفسه، ص 311.

3 - المصدر نفسه، ص 399.

4 - حسين مؤنس، المرجع السابق، ص 143.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 241.

6 - ينظر ، Hajjat Abde Lhamid ,le Maghreb central sous le règne du sultan Ziyane Abou Hammou

Hammou Moussa II 760-91/1359-89, Edition Errachade, Alger, 2009, P52.

7 - تيتاو حميد ، المرجع السابق، ص 243.

8 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج 7، ص 271.

9 - حسن الوزان، المصدر السابق، ص 23.

زراعية خاصة من الحبوب التي كانت تخزن لوقت الشدائد وتموين الجيش ، وإذا ما امتنع أهل الأرياف عن الدفع يجبرون بالقوة عن طريق تسيير الحملات العسكرية ضدهم¹.

ثانيا- الصناعة

إننا إذ نتكلم عن الصناعة فإننا نقصد بها مختلف الحرف التي كانت سائدة في العهد الزياني والتي عرفت تنوعا وازدهارا في هذه المرحلة ومن أهم الحرف صناعة الفخار والخزف حيث انتشرت الأفران بتلمسان وضواحيها² ، ولعل من أشهرها صناعة الزليج الذي زينت به المساجد والقصور والمدارس³ ، بالإضافة للصناعة النسيجية التي تعتمد على دباغة الجلود والقطن والصوف من أجل حياكة البرانس والخيام وصناعة السروج والأحذية ونحوها⁴، يقول الزهري "...وهي دار مملكة يعمل فيها من الصوف كل شيء بديع من المحررات والأبدان وأحاريم الصوف والسفاسير والحنابل المكللة وغير ذلك وهذا من بديع ما خص به أهلها من جميل صنعهم..."⁵ هذا بالإضافة إلى حرفة البناء كتشييد المساجد والقصور والبيوت بالاستعانة بالصناعة الخشبية من صناعة الأسقف والأبواب والمنابر والأثاث المختلف و النحت على الجبس والفسيفساء والنحاس⁶ وفي هذا الصدد يقول حسن الوزان في وصف مدينة هنين: "...ودورهم في غاية الجمال والزخرفة ... أرضها مبلطة بالزليج الملون ، وسفوح الحجرات مزينة بنفس الزليج والجدران مكسوة كلها بالفسيفساء الفنية"⁷ أما الصناعات المعدنية فقد اهتم بني عبد الواد بصناعة السيوف والرماح والمجانيق والفؤوس و مختلف الأدوات التي تستعمل في الحياة اليومية⁸.

1 - بورويبة رشيد وآخرون، المرجع السابق، ص 487.

2 - جورج مارسلي، تلمسان، تر، سعيد دحماني، دار التل للنشر، الجزائر، 2004، ص ص 100-101.

3 - روبيير برونشفيك، المرجع السابق، ص ص 242-243.

4 - جورج مارسلي، المرجع السابق، ص ص 100-101.

5 - الزهري أبو عبد الله، كتاب الجغرافيا، تح، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د ت)، ص ص 113-114.

6 - مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية و الثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج 2، ص 98.

7 - حسن الوزان، المصدر السابق ، ص 15.

8 - مختار حساني، المرجع السابق، ص 98.

إن هذه الحرف من المؤكد أنها عرفت تدهورا وتراجعا في فترات الصراع الزياني المريني وفي فترات الحصار خاصة ، أن الكثير من المواد الأولية كالصوف والطين والمعادن الخام تجلب من خارج المدينة ، كما تناقص عدد الحرفيين والصناع نتيجة عزوفهم عن هذه المهن أو هجرتهم خارج الدولة خاصة أثناء سيطرة أبي الحسن المريني على الإمارة¹، و أدى تراجع التجارة إلى ركود هذه المهن لقلة المشترين² . وتخبر كتب النوازل عن تلك المسائل التي دارت حول الخلاف بين الصانع وطالب الصناعة ومنها ما يذكره الونشريسي عن مسألة نصها ؛ هل على الصانع ضامن أم لا، وذلك أن احد الشيوخ سُئل عن رجل طلب من صانع أن يصنع له فرنا ودفع له مقابل ذلك ذهباً عينا، إلا أن الصانع تماطل حتى حاصر أبو الحسن المريني المدينة سنة 737هـ/1335م واستمر الصانع في المماطلة ، إلى أن اقر بان المال ضاع بسبب الحصار³ .

كما أن أصحاب الحرف والمهن لم يسلموا من خطر القبائل المتحالفة مع بني مرين التي قامت بتخريب المواد الأولية أو فرض الضرائب المرتفعة على طالبيها ، خاصة الحرف المتعلقة بالنسيج⁴ لان الحصول على القطن والصوف مرتبط بالزراعة ووضع الزراعة قد اشرنا إليه سابقا. إن الصراع الزياني المريني ورغم انعكاسه سلبا على أوضاع الصناعة ، إلا أننا نجد نوعا آخر عرف ازدهارا وتطورا ألا وهو الصناعة الحربية لحاجة الدولة لها ، كصناعة الدروع والرماح والسروج، مع الاستعانة بالحرفين الوافدين، ومنهم حرفي الأندلس والأسرى المسيحيين⁵ . حيث يصف يحيى ابن خلدون المنطقة الصناعية المعروفة بدار الصناعة في عهد أبو حمو موسى الثاني

1 - التنسي، المصدر السابق، ص ص130- 136 .

2 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص387.

3 - الونشريسي: المعيار المغرب، والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م، ج8، ص371.

4 - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص36.

5 - بوزياني الدراجي، المرجع السابق، ص218.

بقوله " إن دار الصناعة السعيدة تموج بالفعل على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم فمن دراق ورماح ودراع ولجام ووشاء وسراج وخباء ونجار وحداد وصائغ ودباغ..."¹

ثالثا - التجارة

التجارة من أهم الأنشطة التي تعتمد عليها الدول في العصر الوسيط ، وهو ما ميز المغرب الأوسط خلال العهد الزياني و التي تأثرت بشكل واضح بسبب الصراع مع بني مرين سواء التجارة الخارجية أو التجارة الداخلية هذه الأخيرة التي عانت من شح السلع وانعدامها وارتفاع الأسعار، يقول ابن خلدون عن حال الأسعار أثناء الحصار المريني 698-707هـ/1299-1307م: "... فكان ثمن مكيال القمح الذي يسمونه البرشالة ويتبايعون به ، مقدارا اثنا عشر رطلا ونصف مثقالين ونصفا من الذهب العين وثمان الرأس الواحد من البقر ستين مثقالا، ومن الضان سبعة مثاقيل ونصف، وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمان المثقال ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال والرطل من الجلد البقري مائة أو مذكى بثلاثين درهما ، والهـر والداجن بمثقال ونصف والكلب بمثله والفار بعشر دراهم والحية بمثله... واستهلك الناس أموالهم وموجوداتهم وضاعت أحوالهم"² و يقول التنسي في ذات الصدد "...وكان على أهلها بلاء عظيم من غلاء الأسعار وموت الرجال وتثقيف من يخاف من الفرار، بلغ فيها الرطل من قمح دينارين، وكذلك من الزيت والسمن والعسل واللحم"³، وانتشر الغش بشكل كبير ومما يذكره الونشريسي في ذلك مزج القمح الطيب بالرديء وخلط اللبن بالماء⁴.

1 - يحي ابن خلدون، المصدر السابق، ج2، ص155.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص128.

3 - التنسي، المصدر السابق، ص132.

4 - محمد عيسى الحريري، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني 610-896هـ/1213-1465م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987، ص182.

من جانب آخر يبين النقد الذي يعتبر ركيزة التجارة وعمادها جانبا من آثار الصراع فقد تراجعت قيمته بتراجع مصادر المعادن وتعطل دار ضرب السكة¹ . كما يتضح اثر الصراع من خلال شكل العملة نفسها، ففي عهد أبي حمو موسى الأول بن عثمان (707-718هـ/1307-1318م) تم سك عملة من فئة دينار مضاعف نقش على وجهها عبارة " ما اقرب فرج الله" وهي دعاء من اجل أن يرفع الله المحنة على أهل تلمسان أثناء الحصار المريني سنة 714هـ/1314م وعلى نفس العملة عبارة " المتوكل على رب العالمين" أي أن أبي حمو قد فوض أمره لله سبحانه وتعالى في هذه المحنة . وفي عهد السلطان أبي تاشفين عبد الرحمن الأول (718-736هـ/1318-1335م) تم سك فئة أخرى من عملة دينار مضاعف تحمل تقريبا نفس العبارات السابقة وسبب ذلك الظروف القاسية التي عاشتها تلمسان أثناء حصارها من قبل أبي الحسن على بن عثمان المريني سنة 735هـ/1335م²، وغيرها من الأمثلة التي تبين اثر الصراع على النظام النقدي الزياني .

التجارة الخارجية لم تكن أوفر حظا من التجارة الداخلية فقد غاب الأمن في الطرق التجارية وانتشرت اللصوصية ، وقطاع الطرق³ كما قام المرينيون بتجفيف منابع السلع من خلال السياسة الزراعية والصناعية التي اتبعوها خلال صراعمهم مع بني زيان ، كما عملوا على تحويل مسار القوافل القادمة إلى مدينة تلمسان أثناء حصارهم لها في عهد يوسف بن يعقوب المريني وذلك بإنشاء مدينة المنصورة حتى تستقبل التجار الوافدين من مختلف المناطق⁴، خاصة تجار

1 - طاهري امجد، الحصار المريني لتلمسان نموذج لازمة اقتصادية في العصر الوسيط(698-706هـ/1298-1306م) مجلة آفاق فكرية، الجزائر، مج9، ع3، ديسمبر 2021، ص265.

2 - أسامة احمد مختار حسن مصطفى، العلاقة السياسية بين دولتي بني مرين وبني زيان في القرن 8هـ/14م كما تعكسها النقود، دراسات تراثية، الجزائر، ع6، 2012، ج2، ص ص 121-127.

3 - الإدريسي، المصدر السابق، ص313.

4 - ينظر ، Dufourcq, L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siècle ,presse universitaires de France, paris, 1966, p471.

الذهب القادمين من بلاد السودان إلى سجلماسة ومنها إلى تلمسان ثم إلى أوربا¹، و عمل السلطان المريني كذلك على تغيير مسار الطرق التجارية القادمة من الصحراء عبر فاس ثم تازا واجبر القوافل على المرور عبر طريق ورجلان أو تيهرت²، إلا أن الطرق البحرية راجت فيها التجارة السوداء و تهريب البضائع رغم الخطر والحصار المريني، فنشط تجار ميورقة وتجار اراغونة في ذلك، وكانت سفنهم ترسو في موانئ وهران وتونس والجزائر وهنين، و غالبا ما كانت السلع - بما فيها تلك السلع التي تحظر الكنيسة بيعها للمسلمين - تدخل خلصة وليلا لتلمسان، وما سعي هؤلاء التجار ومغامراتهم إلا لتحقيق أرباح كبيرة واستغلال الضائقة التي يعانيتها بنو زيان وليس الهدف مساعدتهم³، وهو ما تقطن له أبو الحسن المريني أثناء حصاره لتلمسان، حيث شدد الخناق على الطريق البحري من خلال السيطرة على المدن الساحلية للمغرب الأوسط⁴. وفي عهد حكم السلطان المريني أبو العباس على تلمسان، استولى على بضائع التجار المورقيين، وأعطاهم في مقابلها سلعا من مخازن الدولة الزيانية، مما اضعف التجارة الزيانية الأوربية⁵.

المبحث الثاني : الآثار الاجتماعية

أولا- السكان

إن طول مدة الصراع الزياني المريني وما تبع ذلك من أساليب الحصار و تخريب الحرث والنسل كان له الأثر البالغ على أهل المغرب الأوسط، وقد كانت أهلك الأيام على ساكنة تلمسان ما عايشوه أثناء فترات الحصار المتكرر على المدينة؛ حين تعرض الناس لمجاعات يشيب لها الولدان في وصفها، ومن أمثلة ذلك ما حدث خلال الحصار المريني الكبير سنة 698هـ/1299م حيث لجأ الناس إلى السلطان الزياني أبو سعيد عثمان بن يغمراسن يشكونه الطوى فلم يجد ما

1 - ينظر، Dufourcq ,op. cit, p,143.

2 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص221.

3 - ينظر، Dufourcq ,op. cit, p, 371.

4 - المراكشي، المصدر السابق، ص ص442-443.

5 - لطيفة بشاري، العلاقة التجارية بين إمارة بني عبد الواد ومملكة اراغونة، مجلة الاتحاد العام للثواربين العرب، القاهرة، مج12،

ع1، ذو الحجة 1432/ جانفي 2011، ص105.

يجيبهم به سوى أنه قال إن كان لحمه قادرا على سد جوعهم جميعا فهو لهم ، وأرسل خمسة من أعيان البلد إلى مطبخه ليشهدوا على الأزمة التي وصلت القصر الملكي ذاته ، فلم يجدوا من طعامه سوى بعض من لحم حصان مزجت بحبات شعير وبعض من أوراق الأشجار ، ولنا أن نتصور إن كان هذا حال الملك فما بالك بحال الرعية ¹ ، فمن شدة الجوع أكل الناس ما لا يأكل كالحيوانات المحرمة والحشرات و القطط والكلاب والفئران والحياة و الضفادع² بل وكانت تباع بأثمان مرتفعة يقول ابن خلدون "... وأثمان اللحم من الجيف الرطل من لحم البغال والحمير بثمان المثقال ومن الخيل بعشرة دراهم صغار من سكتهم تكون عشر المثقال والرطل من الجلد البقري مائة أو مائة بثلثين درهما ، والهـر والداجن بمثقال ونصف والكلب بمثله والفار بعشر دراهم والحية بمثله..."³ وحتى أشلاء الموتى أكلت⁴ ويقول يحيى بن خلدون "... فكان الهلاك بالجوع أكثر من القتل"⁵، هذا و إذا عدم الناس ما يأكلونه قد يغنيينا عن الكلام عن صحة السكان ونظافتهم والأمراض التي فتكت بهم. يحدثنا يحيى بن خلدون عن الأعداد المهولة للقتلى في فترة حصار يوسف بن يعقوب لتلمسان حيث يعدهم مائة وعشرين ألف قتيل⁶ رغم ما قيل عن مبالغة يحيى ابن خلدون في هذا العدد إلا أن الإمعان في القتل والتجويع كان سمة الحرب بين بني مرين وبني زيان وهذا ما توضحه رسالة أبو الحسن المريني إلى سلطان مصر محمد بن قلاوون(ت 741هـ/1341م) والتي أوردها القلقشندي حيث يقول أبو الحسن في الرسالة " إلى أن كان من حصار عمنا ... فأكثر موتاهم وكدر محياهم، وتمادى بها الحصار تسع سنين"⁷، وفي هذا الحصار توفي أبو سعيد عثمان سنة 703هـ/1304م فخلفه ابنه أبو زيان والذي قاوم الحصار

1 - حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص18.

2 - ابن الأحمر، روضة النسرین في دولة بني مرین، تح، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ، 1962، ص50.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص128.

4 - المصدر نفسه، ص95.

5 - يحيى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص234.

6 - المصدر نفسه، ص234.

7 - القلقشندي، المصدر السابق، ج8، ص91.

أربع سنين توفي خلالها الآلاف من أهل تلمسان قتلا وجوعا ولم يبق سوى مائتين من السكان وألف مقاتل¹، بعدما كان عددهم مئة وخمسة وعشرين ألف نسمة على الأقل².

وأثناء حصار أبي الحسن المريني لتلمسان سنة 735هـ/1335م قتل ثمانين ألفا من الطرفين³. و لعل أهل تلمسان قد صبروا وثبتوا على الجوع إلا أنهم لم يصبروا على فقد الماء فلما فلما قطع السلطان أبو الحسن المريني الماء عنهم كان ذلك سببا في استسلامهم سنة 737هـ/1337م⁴ وحين سقطت المدينة في يده حاول أهلها الفرار فتسلقوا الأسوار لكن جنود بني مرين صدوهم فسقط أغلبهم في الخنادق المحيطة بالمدينة، فاخذ جنود بني مرين يهيلون التراب عليهم وهم أحياء⁵، أما الذين صمدوا في الدفاع عن قصر السلطان فقد قتلوا بأبشع الطرق⁶ بما فيهم السلطان الزياني أبو تاشفين الذي حز رأسه⁷، و البقية من السكان تدافعوا نحو الأبواب فداس بعضهم بعضا ومن خلفهم جنود بني مرين يمعنون فيهم القتل فتراكمت الجثث في الطرقات، وهام من بقي يبحث عن الخلاص، يقول ابن خلدون في وصف أهوال هذا اليوم "غصت سكك البلد من خارجها وداخلها بالعساكر وكظت أبوابها بالزحام، حتى كب الناس على أذقانهم وتواقفوا فوطئوا بالحوافر وتراكمت أشلاؤهم ما بين البابين حتى ضاق المذهب ما بين السقف ومسلك الباب"⁸ ولم يجد الناس ملجأ سوى التضرع لله والالتفاف حول الصوفية والأضرحة⁹.

1 - التنسي، المصدر السابق، ص132.

2 - بلعربي خالد، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني، دورية كان التاريخية، مج2، ع4، يونيو 2009، ص4.

3 - الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، تع، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص ص72-73.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص ص 147-148.

5 - المصدر نفسه، ص ص110-257.

6 - المصدر نفسه، ص111.

7 - الناصري، المصدر السابق، ج3، ص ص125-126.

8 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص111.

9 - هادي جلول، الأوضاع السياسية والفكرية في تلمسان خلال العهد الزياني ما بين القرنين 7-9هـ/13-15م، دورية كان التاريخية، مج 10، ع36، 2017، ص91.

سكان البوادي والأرياف في بلاد المغرب الأوسط هجروا ربوعهم وفقدوا مصدر عيشهم نتيجة السياسة المرينية التي تعتمد على حرق البساتين و الزروع و التحق معظمهم بالمدن وهم لا يحسنون صنعة إلا الزراعة . فتعرضوا للفقر والبطالة والمجاعات¹.

ظاهرة أخرى انعكست على سكان الحضر والأرياف على حد سواء ألا وهي الوقوع في الأسر والسبي التي لم يسلم منها جنود بني زيان ولا حلفائهم من القبائل ، ففي معركة انكاد سنة 753هـ/1352م تمكن أبو عنان فارس من اسر المئات من جنود بني زيان منهم الأمير الزياني أبو سعيد عثمان الثاني ، بالإضافة إلى ظاهرة اسر زعماء القبائل لما تُدرّه من أموال في سبيل فدائهم مثل سجن أبو ثابت المريني لأبي عامر وهو احد أعيان قبيلة بني عامر². ولا يخف الحال على أن ظاهرة سبي النساء والأطفال كانت حالة عامة في الحروب المختلفة في ذلك العصر وهي ظاهرة تعرض لها أهل المغرب الأوسط في صراعهم مع بني زيان ، فأثناء الحصار المريني الكبير على تلمسان طالبت نساء القصر أن يقتلن بدل الوقوع في الأسر³.

ثانيا - العمران

الحروب دائما ما تخلف انعكاسات سلبية على العمران لما تتسبب فيه من حالات الدمار والتخريب ، وهذا ما نلاحظه في الصراع الزياني المريني ، فغالبا ما تعرضت الحصون والقلاع التي اتخذها بنو زيان ملجأ لهم لصد الحملات المرينية - والتي اشرنا لها سابقا- للدمار والتخريب بل حتى تلك التي بناها بنو مرين في المغرب الأوسط في إطار محاولة هيمنتهم على المنطقة⁴ ومن أمثلة عمليات التخريب التي مست العمران ما أحدثه أبو يعقوب المريني حين هدم مدينة وجدة سنة 670هـ/1271م⁵ يقول ابن أبي زرع في وصفه لخراب وجدة " حتى عفا رسمها وجعل

1 - ينظر، P52، Hajjat Abde Lhamid, op. cit

2 - بلعربي خالد، الحرب والإنسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني الأسر نموذجا، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج4، ع8، ديسمبر 2018، ص ص 101-102.

3 - المرجع نفسه، ص104.

4 - الناصري، المصدر السابق، ج3، ص124.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص87.

عاليها سافلها ولم يبق لها رسما وتركها قاعا صفصفا"¹. كذلك الحال بالنسبة للقرى والشعور المحيطة بتلمسان، والتي شارك في تخريبها في أحيان كثيرة القبائل الموالية لبني مرين²، كتخريب مدينة تيكلات سنة 732هـ/1331م وهي إحدى ثغور بني زيان³، وهدم تاميزدكت⁴ حصن بني زيان المنيع⁵.

أثناء حصار أبي الحسن المريني لتلمسان سنة 732هـ/1332م لم تسلم مدينة تلمسان ذاتها من التخريب على مدار الحصار الطويلة التي تعرضت لها، وكمثال على ذلك، ما حدث في عهد أبي يعقوب يوسف أثناء حصاره للمدينة سنة 689هـ/1290م خاصة أن هذا الحصار استعملت فيها آلات الحرب المدمرة كالمنجنيق⁶، وفي حصار سنة 697هـ/1298م تفنن مهندسو مهندسو بني مرين في بناء آلات الحصار والدمار حيث قدموا لسلطانهم آلة قوس الزيار والتي يصفها الناصري بقوله "... فنزل بساحتها وأحاطت عساكره بها إحاطة الهالة بالقمر ونصب عليها القوس البعيدة النزع العظيمة الهيكل المسماة بقوس الزيار، اخترعها المهندسون والصناع الذين تقربوا إلى السلطان بعملها فأعجبه، وكانت تحمل على احد عشر بغلا"⁷ (ينظر، الملحق رقم 2، ص 66) أما أبو العباس المريني فعمد إلى تهديم أسوار المدينة وكذا قصور ملوك بني زيان سنة 785هـ/1383م⁸.

1 - ابن أبي زرع، الذخيرة السنية، ص 132.

2 - طاهري امجد، المرجع السابق، ص 462.

3 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 527-528.

4 - تاميزدكت، ثغر دفاعي متقدم يقع على تخوم الصحراء جنوب تلمسان استعمل لحراسة الطرق والمسالك، ينظر، حسن الوزان، المصدر السابق، ص 313.

5 - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 109-110.

6 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب، ص 379.

7 - الناصري، المصدر السابق، ج 3، ص 76-77.

8 - المصدر نفسه، ص 202.

ومن آثار الحصار الطويلة خراب بيوت العامة بشكل غير مباشر حيث عمد أهلها إلى نزع خشب منازلهم لاستعماله كحطب¹ وأهمل الناس المساجد ولم يعتنوا بها لانشغالهم بالجوع وهذا ما أورده ابن مريم التلمساني انه " سمع من بعض الناس انه كان بتلمسان من الزمان غلاء شديد تعطلت الصلاة بسببه في كثير من المساجد... وأهمل ذلك المسجد لاشتغال الناس بأمر الجوع، فبقيت مدة طويلة حتى فتح الله تعالى على الناس"².

حين نتكلم على أهم الآثار العمرانية الناتجة عن الصراع الزياني المريني في المغرب الأوسط لابد أن نسهب في الكلام عن مدينة المنصورة التي اختطها السلطان المريني يوسف بن يعقوب وهي تبعد عن تلمسان بحوالي كيلومتريين، بطول يصل إلى 1300م وبعرض 750م وأطلق عليها اسم تلمسان الجديدة³ غير أن اسمها الشائع المنصورة تيمنا بالنصر على تلمسان⁴ بدأ تأسيسها سنة 692هـ/1299م أي في بداية الحصار حسبما اتفق عليه الكثير من المؤرخين إلا أن السلاوي يذكر أن بداية تأسيسها كان سنة 702هـ/1303م⁵. واللافت للنظر سرعة بنائها، فقد تم افتتاحها بعد سنتين من الحصار⁶، وكان من أسباب تأسيسها منع أي تموين لتلمسان و الحفاظ الحفاظ على جند بني مرين طيلة مدة الحصار⁷ حيث اتخذ فيها السلطان يوسف بن يعقوب قصرا خاصا به و بنى الجند المساكن والقصور وزرعوا البساتين التي تتخللها المياه حتى عرفت بجمالها ورحابتها⁸، وأمر السلطان ببناء الخانات والحمامات ، وشيد مسجدا جامعاً ، وزخرفت الجدران

1 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص85؛ الناصري، المصدر نفسه، ج3، ص85.

2 - ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م، 1326هـ/1908م، ص33.

3 - ابن الأحمر، المصدر السابق، ص ص 49-50.

4 - ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص128.

5 - الناصري، المصدر السابق، ص79.

6 - ينظر، Rachid Eziane ,Tlemcen la miraculée assiégée isolée du monde de 1299 a 1307 par les mérinides elle arriva a sen sortir après huit longues années, elmaarifa,2011, p 60

7 - سالم غومة، تاريخ المغرب وحضارته، دار الفكر، القاهرة، ط1، 2014، ص43.

8 - محمد الطمار، المرجع السابق، ص102.

بالزليج مختلف الألوان¹ ، وأحيطت المدينة بسور عرضه متر ونصف وبارتفاع يقارب تسعة أمتار، ربط هذا السور بالأبراج التي قدر عددها بثمانين برجاً مختلفة الأشكال والارتفاع²، ولها أربعة أبواب ؛ باب المجاز شرقاً وباب فاس غرباً وباب هنين شمالاً وباب رابع لم يذكر اسمه³. أصبحت هذه المدينة إن صح القول ضرة لتلمسان باستقطابها للقوافل والتجار⁴ يصف الناصري المدينة بقوله "...فأصبحت مدينة عظيمة استبحر عمرانها ونفقت أسواقها ورحل إليها التجار بالبضائع من جميع الآفاق ، فكانت من أعظم أمصار المغرب واحفلها إلى أن خربها آل يغمراسن " ⁵.

يتضح من قول الناصري أن مدينة المنصورة تعرضت للتخريب بعد انتهاء الحصار نكاية في بني مرين حتى لا تكون قاعدة لهم إذا عاودوا الهجوم رغم أن بنود الصلح كانت تنص على الحفاظ عليها حيث يقول في موضع آخر " فجعلوا عاليها سافلها وطمسوا معالمها ومحو آثارها فأصبحت كان لم تغن بالأمس"⁶ غير أن السلطان أبو الحسن أعاد بناءها من جديد أثناء غزوه لتلمسان وجدد فصبتها وقصرها الذي سماه "دار الفتح"⁷. (ينظر، الملحق رقم 6، ص 70).

ثالثاً – على المستويين الثقافي و الديني

تعرض المغرب الأوسط نتيجة الصراع العسكري الزياني إلى انعكاسات سلبية على الجانب الثقافي والعلمي، فتدهورت أحوالهما خاصة بسبب الحصار وانشغال أهل تلمسان بضروريات الحياة، حيث يذكر العبدري أثناء مروره بتلمسان " وأما العلم فقد درس رسمه في أكثر البلاد

1 - ينظر، Rachid Ezziane , op. cit, p 60

2 - محمد عياش، الاستحكامات العسكرية المرينية ، إشراف ، صالح يوسف بن قرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر، 2006 ، ص 83.

3 - شاوش، المرجع السابق، ص 222.

4 - العبدري، رحلة العبدري، تح، علي إبراهيم كردي، تق، شاعر الفحام، دار سعد الدين للطباعة والتوزيع، دمشق، ط2، 2005، ص 278.

5 - الناصري، المصدر السابق، ج3، ص 80.

6 - الناصري، المصدر السابق، ص 92.

7 - شاوش، المرجع السابق، ص 222.

وغاصت أنهاره فازدحم على الثماد فما ظنك بها وهي رسم عفا طللّه، ومنهل جف وشلّه¹ هذه الظروف المزرية دفعت العلماء إلى الهجرة والنزوح عن تلمسان، بحثا عن منهل جديد للعلم مستقر وامن يفيدون ويستفيدون فيه ومن أمثلة ذلك ما حدث أثناء الحصار المريني الكبير على تلمسان حيث غادر المدينة الشاعر الصوفي ابن خميس التلمساني سنة 703هـ/1303م متجها إلى غرناطة²، وفي نفس الفترة استعان الشيخ المتصوف أبو العباس احمد بن محمد بن مرزوق (ت 741هـ/1341م) ببعض الخاصة لتهدية من تلمسان³، ومن أشهر من ارتحل عن تلمسان أيضا بسبب الحصار العالمان الفقيهان ابني الإمام، أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله (ت 743هـ/1342م) وأخوه أبو موسى عيسى (ت 749هـ/1348م)⁴.

إن الصراع الزياني المريني لم يكن دائما سلبيا في الجانب العلمي والثقافي بل كانت له انعكاسات ايجابية وما أكثرها، فرغم تردي الأوضاع في دولة بني زيان في كثير من الأحيان إلا أن الحياة الثقافية والفكرية عرفت تطورا وازدهارا بارزا وذلك لسببين رئيسيين؛ أولهما عناية آل زيان بالعلم وتقريبهم للعلماء وإجزالهم العطاء لهم، خاصة في عهد أبو حمو موسى الثاني الذي عرف بشعره وأدبه، والسبب الثاني هو ذلك التنافس الذي ظهر بينهم وبين بني مرين في استقطاب المشايخ وترغيبهم في النزول بحواضرهم خاصة علماء الأندلس⁵. ومما يذكر من إجلال بني زيان للعلم وأهله أن مؤسس الدولة يغمراسن كان يرسل التنسي أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف بن عبد السلام ويرغبه في النزول بتلمسان فلما سمع بمقدمه خرج إليه يستقبله وقال له " ما جئتك إلا راغبا منك أن تنتقل إلى بلادنا تنشر فيها العلم وعلينا جميع ما تحتاج"⁶.

1 - العبدري، المصدر السابق، ص 49

2 - المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى ج 5، ص 361-362.

3 - ابن مريم، المصدر السابق، ص 27.

4 - المصدر نفسه، ص ص 125-126.

5 - هادي جلول، المرجع السابق، ص ص 93-94.

6 - التنسي، المصدر السابق، ص 126.

إن المرينيين أنفسهم أثناء هيمنتهم على تلمسان في فترات مختلفة اعتنوا بالجانب الثقافي والعلمي وهذا ما يشهد عليه ما خلفوه من مراكز علمية عديدة ، ورغم أنها تتقاطع مع الآثار المعمارية، إلا أننا آثرنا أن نوردتها في إطار مهمتها الأصلية ألا وهي الجانب العلمي والديني ومن هذه المراكز العلمية تأتي في المقدمة المساجد وهي ثلاث ؛ مسجد المنصورة الذي بناه السلطان يوسف بن يعقوب سنة 702هـ/1302م ضمن تأسيسه لمدينة المنصورة ويظهر رحابة وشساعة هذا المسجد بالنظر لعدد أبوابه الثلاث عشر¹ ، كما امتاز بارتفاع مئذنته التي بلغ طولها نحو 38 مترا² .

المسجد الثاني هو مسجد أبي مدين الغوث الذي بناه أبو الحسن المريني سنة 739هـ/1339م في قرية العباد وهي قرية تقع جنوبي شرق تلمسان نسبة للشيخ الصوفي أبو مدين شعيب بن الحسن (ت 594هـ/1198م) امتاز هذا المسجد بجماله بسبب منبره العاجي المزخرف بالابنوس المذهب وسقفه المنقوش وبابه البرنزي³ (ينظر، الملحق رقم، 4، ص 68).

أما المسجد الثالث فهو مسجد سيدي الحلوي⁴، والذي أسسه السلطان أبو عنان فارس سنة 754هـ/1353م نسبة للعالم أبو عبد الله الشوزي الاشيلي المعروف بالحلوي⁵، امتاز هو الآخر بحسنه وجمال زخارفه وسقفه الخشبي البهي وبيت صلاة لها خمس بلاطات عمودية ، يشبه في تصميمه مسجد أبي مدين شعيب، كتب على بابه "الحمد لله وحده أمر بتشيد هذا الجامع المبارك، مولانا السلطان أبو عنان فارس (ابن) مولانا السلطان أبي الحسن علي بن مولانا السلطان

1 - صالح بن قرية، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 115-116.

2 - هوارية بكاي، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، إشراف، بوداوية مبخوت، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008م، ص 244.

3 - محمد بن مرزوق التلمساني، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تق، محمد بوعياذ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 404.

4 - سيدي أبو عبد الله الشوزي الاشيلي المعروف بالحلوي (ت 737هـ/1337م) ، من أكابر العلماء العباد نزل بتلمسان، ينظر ابن مريم، المصدر السابق، ص 68 .

5 - يحي ابن خلدون ، المصدر السابق، ج 1، ص ص 127-128.

أبي عثمان بن مولانا أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق، أيده الله ونصره ، عام أربع وخمسين وسبعمائة¹ (ينظر، الملحق رقم 5، ص 69).

المدارس من أهمها مدرسة أبي مدين بالعباد بناها السلطان أبو الحسن سنة 747هـ/1347م بالقرب من ضريح الشيخ العالم أبي مدين وسميت فيما بعد بالمدرسة الخلدونية لان عبد الرحمن ابن خلدون درس فيها ، عرفت بجمالها المعماري ذو الأقواس المنكسرة والآجر باللون الأخضر بالإضافة لصحنها الدائري المصنوع من الرخام كما بني بها قاعة للدروس والمحاضرات والمدرسة مكونة من طابقين، يحتوي الطابق السفلي على عشر حجرات ، وثمانية حجرات في الطابق العلوي بالإضافة للحجرات الموجودة بالمدخل ، وكانت هذه المدرسة تستقطب الطلاب من كل حذب وصبوب كم كانت تأوي الفقراء وعابري السبيل الذين اتخذ من حجراتها مكانا للدرس والمبيت² تخرج في المدرسة - والتي يمكن أن نقول عنها معهدا صوفيا- العديد من الأئمة والمشايخ على نهج الشيخ أبا مدين، أي النهج الصوفي السني³ .

مدرسة سيدي الحلوي أسسها السلطان أبو عنان فارس سنة 754هـ/1354م بالقرب من ضريح سيدي الحلوي رغم أن هذه المدرسة لم تكن بشهرة المدارس الأخرى⁴، كما شيد أبو عنان بالقرب من هذه المدرسة مباني أخرى منها مسجدا ومدرسة وضريحا⁵.

يتضح لنا في نهاية هذا الفصل أن منطقة المغرب الأوسط عرفت تدهورا رهيبا ومعاناة وآثار سلبية على جميع الأصعدة خاصة مدينة تلمسان ،رغم بعض الانجازات العمرانية التي حاول ملوك بني مرين أن يخلدوا بها أسماءهم في المنطقة، لكن معاناة ساكنة تلمسان وتلك المجاعات جراء الحصارات المتتالية هي من أهم الصور التي بقيت خالدة جراء هذا الصراع.

1 - عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج 1، ص 148.

2 - المرجع نفسه، ص 143.

3 - عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين ق13- ق15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، 2003، وهران، ص 43.

4 - يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج 1، ص ص 127-128.

5 - هوارية بكاي، المرجع السابق، ص 249.

خاتمة

في نهاية هذا البحث تمكنا من استخلاص بعض النتائج والملاحظات التي يمكن أن نوجزها فيما يلي:

✓ تعدد عوامل الصراع الزياتي المريني والتي غلب عليها العامل السياسي ، رغم أن هناك روابط تجمع الدولتين أكثر من عوامل التفرقة والصراع ومن ذلك وحدة الدين والمذهب والقبيلة والمصير والعدو الواحد المتربص بالمنطقة في العدو المقابلة.

✓ طول مدة الصراع بين الطرفين والتي عرفت اغلب مراحلها ظاهرة الحصار المتتالية التي تعرضت لها تلمسان.

✓ الرغبة الجامحة للأمراء المتعاقبين على حكم بني مرين في السيطرة على تلمسان وكامل المغرب الأوسط.

✓ امتاز الصراع في اغلب مراحلها بالغلبة لبني مرين على نظرائهم الزيانيين ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى القوة الديمغرافية والاقتصادية للمرينيين بالإضافة لسوء الحظ الجغرافي لبني زيان بسبب توسطهم بلاد المغرب الأوسط.

✓ بروز العديد من التحالفات السياسية في فترة الصراع سواء مع قبائل المنطقة أو القوى الخارجية ، إلا أن الملاحظ عليها أنها لم تكن ثابتة الولاء لطرف معين بل تتغير بتغير المصلحة.

✓ إنهاك القوة العسكرية للطرفين في مقابل تنامي القوى المعادية في ألبيريا.

✓ تردي الأوضاع الاقتصادية في المغرب الأوسط طيلة فترات الصراع بسبب سياسة الأرض المحروقة التي اتبعها بني مرين.

✓ المظاهر المؤلمة وغير الإنسانية والبعيدة عن القيم الدينية لمعاناة اهل المغرب الأوسط خاصة ساكنة تلمسان بسبب ضراوة الصراع والحصار.

✓ خراب العمران وتعطل التعليم بسبب تطور تقنيات الحصار ووسائله.

✓ رغم الجوانب السلبية لهذا الصراع إلا أن هناك بعض الايجابيات ومن أهمها ، اهتمام

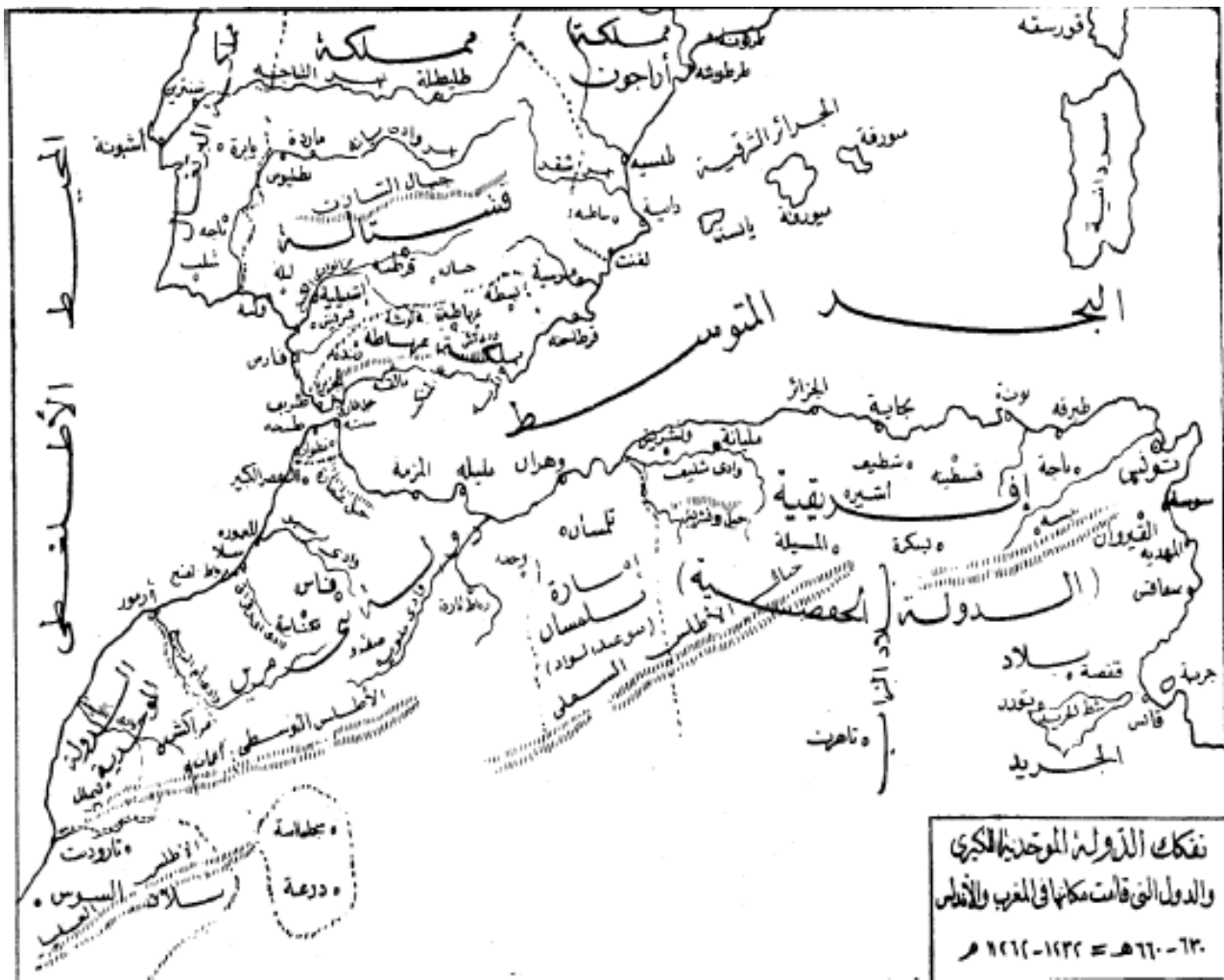
بعض أمراء بني مرين بالبناء والتعمير والنهوض بالجانب الثقافي في بلاد المغرب الأوسط خاصة مدينة تلمسان وهذا ماتجسده آثارهم الباقية إلى يومنا هذا مثل مدينة المنصورة ،مما ساهم في التواصل العلمي والثقافي بين المغربين الأوسط والأقصى وكذا الأندلس من خلال التنافس في استقبال علماء تلك المنطقة.

الملاحق



الملحق رقم 1:

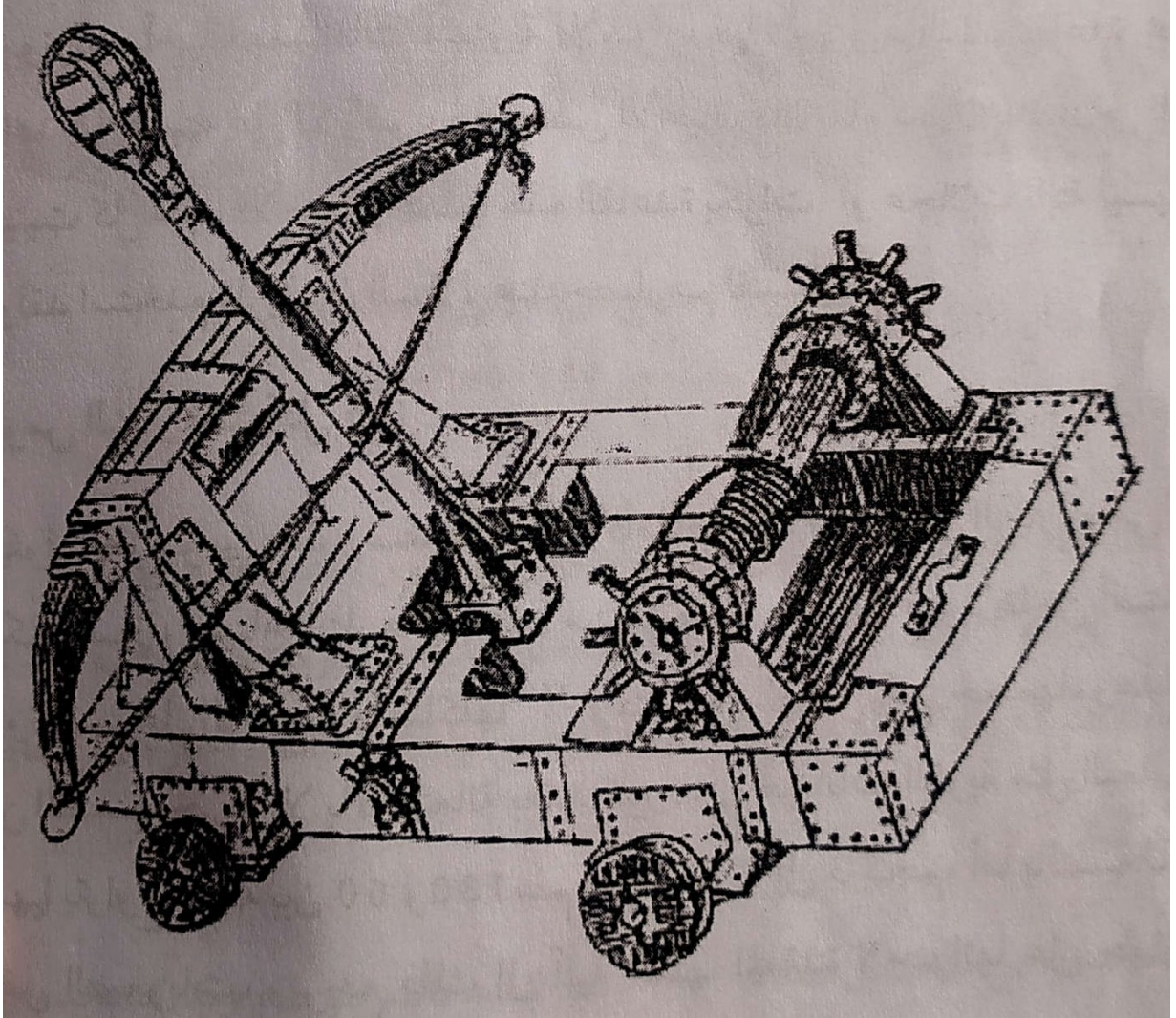
الدول الناشئة عن تفكك دولة الموحيدين



الحريري، المرجع السابق، ص 389.

الملحق رقم 2:

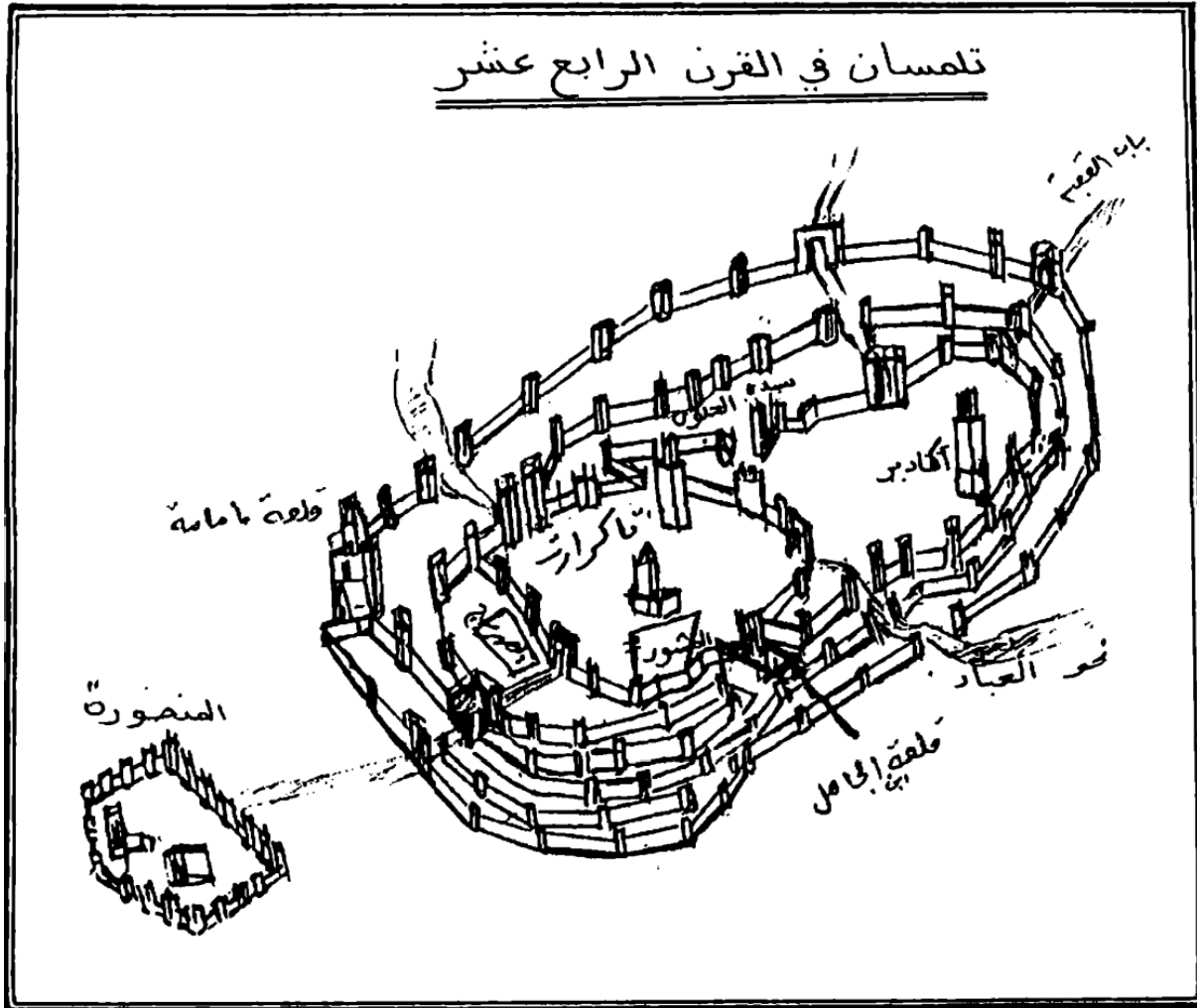
رسم توضيحي لسلاح قوس الزيار



المرجع: سالم أبو القاسم غومة، المرجع السابق، ص138.

الملحق رقم: 3

مخطط يبين تحصينات مدينة تلمسان



المصدر: عبد العزيز فيلاي، المرجع السابق، ص 627.

الملحق رقم:4

صورة مسجد سيدي الحلوي بين القديم والحاضر



المصدر: www.sidielhaloui.telmecen.com

الملحق رقم: 5

صورة مئذنة مسجد المنصورة



المصدر : Getty images

قائمة المصادر والمراجع

1- المصادر

- 1- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل: النفحة النسرينية و اللوحة المرينية، تح، عدنان محمد آل طعمة، مطبعة الشام، دمشق، 1992
- 10- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمان بن محمد، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، تح، خليل شحادة، مر، سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1421هـ، 2000م.
- 11- ابن أبي زرع الفاسي علي، الأئيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، مر، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1999.
- 12- ——— الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، دار المنصور للطباعة، المغرب، (د ط)، 1972.
- 13- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح، محمد إبراهيم الكتاني وآخرون ، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1985
- 14- العبدري محمد البنسي، رحلة العبدري، تح، علي إبراهيم كردي، تق، شاكرا الفحام، دار سعد الدين للطباعة والتوزيع، دمشق، ط2، 2005، ص49
- 15- القلقشندي أبو عباس احمد بن علي، صبح الأعشى في صناعة الانشاء، المطبعة الأميرية، القاهرة، (د ط)، 1333هـ، 1915م
- 16- المراكشي عبد الواحد محي الدين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تح، خليل عمران المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م
- 17- القيرواني أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن أبو زيد، النوادر والزيادات علي ما في المدونة من غيرها من الأمهات، تح، محمد عبد العزيز الدباغ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1999.

- 18- المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح ، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى ج5، ص ص361-362.
- 19- الوزان حسن، وصف إفريقيا، تر، محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط2، 1983، ج2، ص.37
- 20- البكري أبو عبيد، المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب، جزء من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د ط)، (د ت).
- 21- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى: المعيار المغرب، والجامع المغرب عن فتاوى أهل افريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1401هـ-1981م.
- 22- ابن الأحمر أبو الوليد إسماعيل ، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تح، هاني سلامة، مكتبة الثقافة الدينية للنشر والتوزيع، بورسعيد، مصر، ط1، 2001م.
- 23- _____، روضة النسر في دولة بني مرين، تح، عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط ، 1962، ص.50
- 24- الزركشي أبو عبد الله محمد إبراهيم، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تح، تع، محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1966، ص ص72-73.
- 25- الناصري أحمد بن خالد، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تح، جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب الدار البيضاء، د.ط، 1997.
- 26- المقرئ، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، (د د)، القاهرة، (د ط)، 1940م.
- 27- الزهري أبو عبد الله، كتاب الجغرافيا، تح، محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د ت). الزياني محمد بن يوسف، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران، تح، المهدي بوعبدلي، عالم المعرفة، الجزائر، ط1، 2013م.

- 28- التنسي محمد بن عبد الله، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان مقتطف من نظم الدر و العقيان في بيان شرف بني زيان، تح و تع، محمد بوعياذ، المؤسسة الوطنية للكتاب و المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1405هـ، 1985م..
- 29- التلمساني محمد بن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تق، محمد بوعياذ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
- 30- التلمساني ابن مريم، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، تح، محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1326هـ/1908م.
- 31- الحميري عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأوطان، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984م.
- 32- أبو حمو موسى الثاني، واسطة السلوك في سياسة الملوك، تح، تع، محمود بوترة، دار الشيماء ودار النعماء، الجزائر، 2012.
- 33- ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله، تاريخ اسبانيا الإسلامي، تح، ليفي بروفسال، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.
- 34- ابن خلدون أبو زكرياء يحيى بن محمد، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تح، عبد الحميد حاجيات، دار الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

2- المراجع

- 1- تيتاو حميد، الحرب والمجتمع بالمغرب خلال العصر المريني 609-869هـ/1212-1465م، إسهام في دراسة انعكاسات الحرب على البنيات الاقتصادية والاجتماعية والذهنية، منشورات عكاظ، الدار البيضاء، (د ط)، 2010.
- 2- حركات إبراهيم، المغرب عبر التاريخ منذ بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1398هـ، 1987م.

- 3- الحريري محمد عيسى، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس في العصر المريني 610-896هـ/1213-1465م، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1987.
- 4- حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية الأحوال الاقتصادية و الثقافية، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج.2
- 5- الجيلالي عبد الرحمن ، تاريخ الجزائر العام، مكتبة الشركة الوطنية، الجزائر، (د،ط)، 1965م.
- 6- شاوش الحاج محمد بن رمضان، باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان، ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر،.2011
- 7- الطمار محمد بن عمر، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر(د،ط)، 1984
- 8- عبدلي لخضر،التاريخ السياسي والحضاري لدولة بني عبد الواد، ابن النديم للنشر والتوزيع، تلمسان، ط1، 2011.
- 9- بدوي أحمد، عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط ، دار الأصاله، الجزائر.
- 10- عبيد بوداود، ظاهرة التصوف في المغرب الأوسط مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين ق13- ق15م، دار الغرب للنشر والتوزيع، ، وهران، 2003
- 11- الغروي عبد الله، مجمل تاريخ المغرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1998.
- 12- فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، المؤسسة الوطنية للفنون الطبيعية، الجزائر(د ط)، 2002
- 13- مارسى جورج، تلمسان، تر، سعيد دحماني، دار التل للنشر،الجزائر، 2004.
- 14 - المزوزي أبو فارس عبد العزيز ، نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء والملوك، المطبعة الملكية، الرباط، (د ط)، 1382هـ. 1963.

- 15- مصمودي فوزي، تلمسان بعيون عربية، دار السبيل للنشر والتوزيع، تلمسان، ط1، 2011.
- 16- مؤنس حسين ، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد، القاهرة، ط 5، 1421هـ/2000م.
- 17- الميللي مبارك، تاريخ الجزائر الحديث والقديم، تق، محمد الميللي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د س).
- 18- بوعزيز يحي ، تلمسان عاصمة المغرب الأوسط ، منشورات تلمسان عاصمة الثقافة الدينية، الجزائر، (د ت).
- 19- برنشفيك روبير، تاريخ إفريقيا في العهد الحفصي من القرن 13 إلى نهاية القرن 15م، تر، حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت، ط1، 1988، ج.2.
- 20- بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن دراسة تاريخية وحضارية 633- 681هـ/1235-1282م، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، 2011
- 21- بن قرية صالح، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى، الشركة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- 22- بن عبد الله عبد العزيز ، الدولة الزيانية وعلاقاتها الخارجية في المغرب الأوسط، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1981
- 23- بورويبة رشيد وآخرون، الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطني للكتاب، الجزائر، 1965، ج.3.
- 24- بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993.

3- المراجع باللغة الأجنبية

- 1- Dufourcq Charles Emmanuel, L'Espagne catalane et le Maghreb aux XIII et XIV siècle ,presse universitaires de France, paris, 1966
- 2- Ezziane Rachid ,Tlemcen la miraculée assiégée isolée du monde de 1299 à 1307 par les mérinides elle arriva a s'en sortir après huit longues années, elmaarifa,2011
- 3- Hajjat Abde Lhamid ,le Maghreb central sous le règne du sultan Ziyamide Abou Hammou Moussa II 760-91/1359-89, Edition Errachade, Alger, 2009
- 4- Laroui Abdallah, L'Histoire du Maghreb, Un essai de synthèse, François Maspero, Paris, 1970

4- قائمة المجلات

- 1- بلعربي خالد، المجاعات والأوبئة بتلمسان في العهد الزياني، دورية كان التاريخية، مج2، ع4، يونيو 2009.
- 2- _____، الحرب والإنسان بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني الأسر نموذجاً، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية، مج4، ع8، ديسمبر 2018
- 3- حاج عيسى الياس، زناتة المغرب الأوسط القبيلة والمجال، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية، مج3، ع1، يناير 2020 .
- 4- دهينة عبد الله ، وصية يغمراسن، مجلة التاريخ وحضارة المغرب العربي، ع6، 27 جويلية 1969م.
- 5- طاهري احمد، الحصار المريني لتلمسان نموذج لازمة اقتصادية في العصر الوسيط(698-706هـ/1298-1306م) مجلة آفاق فكرية، الجزائر، مج9، ع3، ديسمبر 2021.

- 6- الطيب محمد سليمان، موسوعة القبائل العربية، بحوث ميدانية وتاريخية، دار الفكر العربي، مدينة نصر، مصر، ط2، 1418هـ - 1997م مج1، ج1.
- 7- غرداوي نور الدين، دور قبائل بني توجين ومغراوة في السياسة العسكرية للدولة الزيانية، دراسات تراثية، جامعة الجزائر2 أبو القاسم سعد الله، مج1، ع8، 2014.
- 8- عيساوي مها، أبو حمو موسى الزياني (السلطان الأديب)، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج1، ع1، 2007.
- 9- غومة سالم أبو القاسم محمد، العلاقة السياسية و أثرها الحربي بين الدولة المرينية ودولتي الزيانيين والحفصيين ببلاد المغرب في العصر الوسيط، المجلة الجامعة، المجلد 2، العدد 18، ماي 2016م.
- 10- أسامة احمد مختار حسن مصطفى، العلاقة السياسية بين دولتي بني مرين وبني زيان في القرن 8هـ/14م كما تعكسها النقود، دراسات تراثية، الجزائر، ع6، 2012.
- 11- بن عميرة لطيفة بشاري، علاقة بني عبد الواد (بنو زيان، تلمسان) ببني مرين (المغرب) بين القرن 7-10هـ، 13-16م، أفكار وآفاق، ع3، 2012.
- 21- _____، العلاقة التجارية بين إمارة بني عبد الواد ومملكة اراغونة، مجلة الاتحاد العام للثانيين العرب، القاهرة، مج12، ع1، ذو الحجة 1432/ جانفي 2011.
- 13- حاج عبد القادر يخلف، العلاقات الخارجية للدولة الزيانية، عصور الجديدة، ع2، 1432هـ، 2011م.
- 14- كربوع مسعود، المرينيون من الطور القبلي إلى الطور السياسي، مجلة دفاتر المخبر، مج19، ع1، 2024.
- 15- جلول هادي، الأوضاع السياسية والفكرية في تلمسان خلال العهد الزياني مابين القرنين 7-9هـ/13-15م، دورية كان التاريخية، مج10، ع36، 2017.

- 16- صلاحي حسام، الجيش الزياني ودوره في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية (633-962هـ/1235-1555م)، مجلة الدراسات التاريخية والعسكرية، مج2، ع4، جويلية 2020

5- الرسائل الجامعية

- 1- الأعرجي نضال مؤيد مال الله ، الدولة المرينية في عهد السلطان يوسف بن يعقوب المريني (685-706هـ)(1286-1306م) دراسة سياسية وحضارية، إشراف، عبد الواحد ذنون طه، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي، كلية التربية، جامعة الموصل، العراق، 2004م
- 2- بكاي هوارية، العلاقات الزيانية المرينية سياسيا وثقافيا، إشراف، بودواية مبخوت، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2007-2008م..
- 3- شقدان بسام كامل عبد الرزاق، تلمسان في العهد الزياني 633-962هـ/1235-1555م، إشراف هشام أبو رميلة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2002.
- 4- عياش محمد، الاستحكامات العسكرية المرينية ، إشراف ، صالح يوسف بن قرية، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2006.

فهرس المحتويات

.....	كلمة شكر وعرفان
.....	إهداء
.....	قائمة المختصرات
..... أ	مقدمة
6	الفصل الأول : الصراع الزياني المريني (647-962هـ).....
7	المبحث الأول : أسباب الصراع
7	أولاً : العوامل التاريخية و الجغرافية
7	1- التنافس على زعامة قبيلة زناتة
8	2- التجاور الجغرافي
9..	3- الصراع على خلافة الموحدين
10	ثانياً: العوامل السياسية
10	1- دور الدولة الموحدية في إشعال نار الفتنة
11	2- دور بني الأحمر في إنكاء الصراع
12	3- استقبال المعارضين
13	ثالثاً : العوامل الاقتصادية
13	1- التنافس على المناطق الإستراتيجية
14	المبحث الثاني: مظاهر الصراع العسكري
14	أولاً: مظاهر الصراع العسكري خلال القرن 7هـ/13م.....
14	1- معركة ايسلي الأولى 647هـ/1249م.....

2-	معركة تلاغ 666هـ/1267م	15.....
3-	معركة ايسلي الثانية 670هـ/1272م	16
4-	معركة وادي التافنة 678هـ/1280م	16.....
	ثانيا: مظاهر الصراع العسكري خلال القرن 8هـ/14م	17.....
1-	حصار يوسف بن يعقوب المريني لتلمسان 698هـ/1299م	17.....
2-	حملة سعيد بن عثمان عبد الحق على تلمسان 741هـ/1317م	19.....
3-	حملة أبو الحسن المريني على تلمسان 735هـ/1334م	19.....
4-	أبو حمو موسى الثاني في مواجهة بني مرين	20.....
	الفصل الثاني :الآثار السياسية والعسكرية على المغرب الاوسط 647-962هـ..	24..
	المبحث الأول :الآثار السياسية	24.....
	أولاً: التحالفات السياسية	24.....
	ثانيا :المؤامرات والاغتيالات	27.....
	ثالثاً: قبائل المغرب الأوسط بين التمرد والولاء	29.....
	المبحث الثاني: الآثار العسكرية	31.....
	أولاً: التحصينات العسكرية	31.....
	ثانيا: العدة والعتاد	33.....
	الفصل الثالث: الآثار الاقتصادية والاجتماعية	37.....
	المبحث الأول: الآثار الاقتصادية	38.....
	أولاً: الزراعة	38.....
	ثانيا : الصناعة	41.....
	ثالثاً: التجارة	43.....
	المبحث الثاني: الآثار الاجتماعية	45.....

أولا : السكان.....	45
ثانيا: العمران.....	48
ثالثا : على المستويين الثقافي و الديني.....	51
خاتمة	56
الملاحق.....	59
قائمة المصادر والمراجع.....	65
فهرس المحتويات.....	76



التصريح الشرفي الخاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز مذكرة الماستر

أنا الممضي أسفله،

- الطالب(ة): غربية بلقاسم رقم بطاقة الطالب: 2498453330 تاريخ الصدور: 2024

المسجل (ين) بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم: العلوم الإنسانية شعبة: التاريخ

تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

والمكلف(ين) بإنجاز مذكرة ماستر الموسومة ب:

"الصراع العسكري الزباني المريني واثره على المغرب الاوسط (647-962هـ/1249-1554م)"

أصرح بشرفي(نا) أي(نا) ألتزم(نا) بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية والنزاهة الأكاديمية

المطلوبة في إنجاز المذكرة المذكورة أعلاه.

التاريخ: 25/ماي/2025

توقيع المعني:



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر – بسكرة
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
السنة الجامعية 2025/2024

بسكرة في 25 ماي 2025

الاسم واللقب الأستاذ المشرف : مسعود كربوع
الرتبة : استاذ التعليم العالي والبحث العلمي
المؤسسة الأصلية : جامعة محمد خيضر بسكرة

الموضوع: إذن بالإيداع

أنا الممضي أسفله الأستاذ (ة) كربوع مسعود وبصفتي مشرفا على مذكرة الماستر للطالب:(ة)
غربية بلقاسم

في تخصص: تاريخ الغرب الاسلامي في العصر الوسيط

والموسومة: بالصراع العسكري الزياني المريني واثره على المغرب الاوسط (647-
962هـ/1249-1554م)

والمسجل بقسم العلوم الإنسانية، شعبة التاريخ، أقر بأن المذكرة قد استوفت مقتضيات البحث
العلمي من حيث الشكل والمضمون، ومن ثمة أعطي الإذن بإيداعها.

إمضاء المشرف

الأستاذ الدكتور مسعود كربوع

مصادقة رئيس القسم